



سكة حديد

الحجاز

حلم قديم يتحقق

فتح القسطنطينية

كيف تصنع الأمة النصر قبل أن تصنع المعركة

تفكيك الأدوات وآليات التضييل الرقمي بين الإنتاج والتوزيع والتلقي





إرشادات للكتاب:

ترحب «الأمة» بالمقالات التي تُظهر عمقًا ووضوحًا ودقّة تحليلية، مع طرحٍ منظم وفهمٍ متين لسياق الموضوع. كما ترحب بالمساهمات التي تتناول الجغرافيا السياسية العالمية، والعالم الإسلامي، والتطورات السياسية والاقتصادية والمنظورات التاريخية، إضافةً إلى ما تشهده مختلف المجتمعات، والإسلامية خاصة، من تحولات اجتماعية وثقافية وتكنولوجية.

ضوابط النشر:

- يجب أن يتراوح طول المقال بين ١٠٠٠ و ١٣٠٠ كلمة، وأن يكون مكتوبًا بلغة عربية واضحة ورصينة.
- يُرجى تضمين الاسم الكامل للمؤلف ونبذة موجزة عنه وإرفاق صورة شخصية (اختياري).
- يجب أن يكون المقال أصليًا وغير منشور سابقًا. يتحمل الكاتب مسؤولية دقة الحقائق والتوثيق الصحيح والحفاظ على النزاهة الفكرية.
- على الكاتب أن يقدم حججًا منطقية مدعومة بأدلة موثوقة عند الاقتضاء.
- تحتفظ «الأمة» بحق التعديل المناسب على المقالات وفق سياستها التحريرية.
- تحتفظ «الأمة» بحق نشر المادة أو عدمه.
- تُرسل المشاركات إلى: info@al-ummah.org

إشعار حقوق الطبع والنشر:

جميع المقالات والمحتويات المنشورة على موقع «الأمة» وفي مجلتها المطبوعة والرقمية محمية بموجب قوانين حقوق الطبع والنشر المعمول بها، وتظل ملكية فكرية لمؤسسة الأمة.

ما لم يُنص على خلاف ذلك، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذه المنشورات، أو تخزينه في نظام استرجاع، أو نقله بأي شكل أو وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو عن طريق النسخ الضوئي أو التسجيل أو غير ذلك، دون الحصول على إذن كتابي مسبق من مؤسسة الأمة.

من خلال تقديم أعمالهم، يقر المؤلفون ويوافقون على أنه عند قبول العمل ونشره، تعود حقوق الطبع والنشر للمادة المنشورة إلى مؤسسة الأمة. والآراء الواردة في المقالات الفردية تعبر عن وجهات نظر مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة وجهات نظر المؤسسة.

في ثلاثة أشهر فقط، مجلة الأمة تصنع التاريخ

■ ثلاثة أشهر فقط؛ مدة تكاد لا تُذكر في عمر أي مطبوعة. ومع ذلك، استطاعت مجلة الأمة في هذه الفترة الوجيزة أن تترك بصمتها، متجاوزة حدود صفحاتها لتغدو فضاءً حيويًا للحوار يتردد صده بين قرائنا الكرام. وقد تأكد لنا من حجم التفاعل الذي حظينا به صواب رسالتنا في التواصل مع جمهور يتطلع إلى منبر للنقاش وتبادل الرؤى والأفكار.

وبحلول الوقت الذي سيصل فيه هذا العدد الثالث إلى أيديكم، سنكون على موعد مع إنجاز جديد. إذ تنظم مؤسسة الأمة ندوة دولية في العاصمة البنغلاديشية دكا يوم 4 يوليو/تموز، للارتقاء بالحوار الفكري -وهو جوهر رسالتنا- إلى مستوى جديد. وإنها خطوة تاريخية بحق، إذ وافق معالي وزير الإعلام في بنغلاديش، السيد ظاهر الدين سوابون، أن يكون ضيف الشرف في هذه المناسبة. كما سيشاركنا في الحدث من جمهورية تركيا نائب رئيس حزب العدالة والتنمية الحاكم سابقاً، البروفيسور ياسين أقطاي، بصفة ضيف خاص. كما سيشاركنا المناسبة عدد من أبرز الشخصيات الوطنية، من بينهم الدكتور أ. ف. م. خالد حسين، المستشار السابق للحكومة الانتقالية، إلى جانب نخبة من العلماء والصحفيين وكوكبة من الضيوف البارزين من مختلف أنحاء العالم.

كما ستشهد الفعالية انعقاد جلسة حوارية يشارك فيها عدد من الشخصيات الفكرية لمناقشة القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية، وكيف يمكن لمنشورات مثل مجلة الأمة أن تؤدي دوراً مؤثراً وهادفاً في هذا المجال. ومن المشاركين في هذه الجلسة:

- المهندس منير سعيد، نائب الأمين العام للمنتدى الإسلامي العالمي للفكر والحضارة.
- الدكتور أيمن زيدان، المدير التنفيذي للمؤسسة الدولية للقدس.
- الدكتور فتحي عبد القادر، مدير أكاديمية الرواد في إسطنبول.
- الدكتور نياز أحمد خان، الرئيس السابق لجامعة دكا.
- الدكتور ميا محمد أيوب، الأمين العام السابق وعضو لجنة إصلاح الإدارة العامة.
- الدكتور محمد عبد العزيز، المدير العام لمعهد بنغلاديش للفكر الإسلامي.

حان الوقت لأن نحول هذه الخطوة الصغيرة معاً إلى قفزة كبرى، تسهم في رسم المصير الفكري لعصرنا.

إنه ليس مجرد حدث عالمي، بل شاهد على قناعتنا الجماعية وإيماننا المشترك برسالتنا.



رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
محمد ذاكر حسين

مدير التحرير
عصام الشحات

المدير الفني
محمد يوسف سالم

الأمة، مجلة شهرية، تصدر برعاية المركز الإسلامي للبحوث والتوثيق بنغلاديش. بثلاث لغات: العربية والإنكليزية والبنغالية السادة الكتاب، يمكنكم الكتابة إلى المجلة على العنوان التالي، في مجالات العلوم والدراسات الإسلامية والفكرية، والتاريخ والسياسة والثقافة، على ألا يتجاوز عدد الكلمات 1300 كلمة:

Email: info@al-ummah.org
Website: www.al-ummah.org



الصفحة 4 سكة حديد الحجاز .. حلم قديم يتحقق

- 1..... في ثلاثة أشهر فقط، مجلة الأمة تصنع التاريخ
- 4..... سكة حديد الحجاز حلم قديم يتحقق
- 8..... الحركة النسوية السعودية بعين مراقب خارجي
- 11..... فلسطين تدفع ثمن انهيار النظام الأخلاقي العالمي
- 17..... الزواج بين المثالية الافتراضية والواقع
- 19..... فتح القسطنطينية كيف تصنع الأمة النصر قبل أن تصنع المعركة



الصفحة 19 فتح القسطنطينية.. كيف تصنع الأمة النصر قبل أن تصنع المعركة



كُتَاب العدد



محمد ناصر جاويد



أنيس الرحمن إرشاد



محمد أبو عجور



د. محمد عماد صابر



نبيل سابا



أسماء مفيد كامل

إخلاء مسؤولية

الآراء الواردة في المجلة تعكس وجهات نظر أصحابها فقط، ولا تتحمل المؤسسة أي مسؤولية عنها

حقوق النشر

يُسمح للقراء باستخدام محتوى هذه المجلة أو إعادة طباعته أو إعادة نشره، شريطة الحصول على إذن مسبق من مؤسسة الأمة، مع ضرورة الإشارة إلى رابط الموقع الإلكتروني الرسمي



8

الصفحة

الحركة النسوية السعودية بعين مراقب خارجي

- 23..... قول في الهزل
- 27..... كيف تعيد شبكات التواصل الاجتماعي تشكيل المجتمع العربي؟
- 32..... المسار الأمريكي في حماية المشروع الصهيوني ومحاصرة نهضة الأمة
- 35..... من يربي أبنائنا في عصر الشاشات؟
- 39..... تفكيك الأدوات وآليات التضليل الرقمي بين الإنتاج والتوزيع والتلقي
- 47..... شاه عبد الحنان نموذج للقيادة الأخلاقية والعمق الفكري والإصلاح الإسلامي



35

الصفحة

من يربي أبنائنا في عصر الشاشات؟



(Illustration by Erhan Yalvaç)

سكة حديد الحجاز

حلم قديم يتحقق

ولم تقتصر أهميتها على الجانب الاقتصادي فحسب، بل كانت أيضاً تجسيدا لرؤى استراتيجية تبنتها الدول والشعوب لتعزيز وحدتها وتوسيع نفوذها وربط أطرافها بمراكزها الحيوية.

ونضرب مثلاً في هذا، الولايات المتحدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث تمكن المستوطنون الأوائل والدولة الفيدرالية من تعزيز سيطرتهم على المناطق البعيدة، واستغلال الموارد الطبيعية على

بقلم هيئة التحرير

■ لا شك أن السكك الحديدية من أبرز منجزات الثورة الصناعية وأكثرها أثراً في التاريخ الحديث، فقد أسهمت إسهاماً حاسماً في تسريع النمو الاقتصادي وانتشار العمران وترسيخ مظاهر المدنية الحديثة.

حاربت بريطانيا خط حديد الحجاز وعملت على تفجيرها

2012، قبل أن تتراجع هذه الأرقام تراجعاً حاداً بسبب التطورات الإقليمية المتلاحقة في سوريا والعراق وما أحدثته من قطع في شبكات الطرق التقليدية. وتستهدف الاتفاقيتان الجديدتان ليس استعادة تلك المستويات فحسب، بل تجاوزها نحو آفاق أوسع، مستفيدتين من مسارات بديلة تم اختبارها مؤخراً عبر العراق.

الرهان على السكك الحديدية

لم تقتصر المباحثات السعودية التركية على البنية التحتية الآنية؛ إذ أكد الوزير أورالوغلو أن إقامة ربط مباشر بالسكة الحديد بين تركيا والمملكة العربية السعودية ذو أهمية استراتيجية بالغة، مشيراً إلى إمكانية التعاون في أنظمة السكك الحديدية عالية السرعة. رغم أن الطريق نحو تحقيق هذا الهدف لا يزال طويلاً، إلا أن مجرد إدراجه ضمن مخرجات الاجتماع يُشير إلى أن الإرادة السياسية لدى الطرفين تتجاوز حدود التصريحات الدبلوماسية المعتادة.

وفي السياق ذاته، شدد الوزير على ضرورة إيجاد روابط طرق آمنة ومستقرة بين البلدين، داعياً إلى تنسيق مشترك مع شركاء إقليميين لرسم خارطة طريق نقل مستدامة. فالتوترات العالمية المستمرة، وإن كانت تُشكل ضغطاً على الممرات القائمة، باتت في الوقت ذاته محرّكاً للبحث عن ممرات بديلة أكثر موثوقية واستدامة.

سكة الحجاز... صدى التاريخ

لا يمكن فهم حجم الزخم الذي أثارته هذه الاتفاقيات، لا سيما في الإعلام العربي والخليجي، دون العودة إلى الجذر التاريخي لهذا الملف وهو خط سكة حديد الحجاز، ذلك المشروع الذي لا يزال يسكن ذاكرة



نطاق واسع، وإنشاء مدن وازدهار أخرى، كل ذلك بفضل «العُملاق البخاري».

السعودية وتركيا تقودان مبادرة على شاكلة مبادرة الحزام والطريق

في التاسع من يونيو/حزيران 2026، وقّع وزير النقل والبنية التحتية التركي عبد القادر أورال أوغلو ونظيره السعودي صالح بن ناصر الجاسر مذكرتي تفاهم في الرياض؛ تتعلق الأولى بالتعاون في قطاع الخدمات اللوجستية وتشمل إنشاء مراكز اللوجستيات وتشغيلها وإدارتها، فيما تتعلق الثانية بتوسيع التعاون في جميع مجالات قطاع السكك الحديدية. وجاء التوقيع في أعقاب مباحثات ثنائية تناولت ملفات النقل البري والبحري والجوي والربط الإقليمي بين البلدين.

وكشف الوزير أورالوغلو أن حجم النقل البري بين البلدين بلغ نحو 20,000 رحلة سنوياً قبل عام

والوقت. عام 1909، كان يجري تسيير رحلات يومية بين حيفا ودمشق، وثلاثة رحلات أسبوعياً بين دمشق والمدينة المنورة، لنقل الركاب والبضائع، وكان ثمة رحلات إضافية لنقل مواد البناء والإمدادات العسكرية والحجاج.

استمرت أعمال التشييد في الخط حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وانهيار النظام الإقليمي القديم. لم تُستكمل السكة إلى مكة المكرمة، وتضررت أجزاء واسعة منها في الحرب وتعطلت وظل الخط أثراً يشهد على ما كان يمكن أن يكون لو أن الظروف انعطفت في اتجاه مغاير.

كانت بريطانيا في تلك الحقبة تُرْسَخ نفوذها على امتداد الشريط الساحلي للجزيرة العربية، وتحرص كل الحرص على ضمان ممر آمن يصل مستعمراتها الهندية باستراتيجيتها البحرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر. وكان من شأن إنشاء خط للسكة الحديد بهذا الامتداد كفيلاً بأن يثير حفيظتها، فحاربت وأصبح الخط الحديدي موضع تنافس دبلوماسي بالغ الحساسية، بل إن بريطانيا قد عملت جهارةً، باستخدام رجلها لورنس العرب، على تفجير الخط وتعطيل محطاته في الحرب العالمية الأولى.

تحول البنية التحتية التركية الملموس

لا تفصل اتفاقيات في مجال النقل والإمدادات، عن سياق أوسع شهده الاقتصاد التركي على مدى العقود الماضية. فمنذ مطلع الألفية الثالثة، وتركيا تستثمر وتبني منظومة نقل داخلية متكاملة: شبكة طرق سريعة تربط المدن الكبرى بالمناطق الداخلية وسكك حديدية فائقة السرعة تجاوزت في بعض مقاطعها سرعة 250 كيلومتراً في الساعة، إضافة إلى مطار إسطنبول الذي بات اليوم أحد أكبر مراكز العبور الجوي في العالم.

وقد أضافت منظومة الطاقة إلى هذا الصرح بُعْداً استراتيجياً؛ إذ نجحت تركيا في تنويع مصادرها للطاقة توزيعاً جعلها أقل هشاشة في مواجهة الأزمات. وتتجلى ثمرة هذا التراكم في ثلاثة مسارات إقليمية تكتسب زخماً متصاعداً: مشروع طريق التنمية



■ لوحة اسم القاطرة احتفظ بها لورانس كتذكّار من أحد القطارات التي هاجمها ■

إعادة إحياء الخط اليوم لا تخلو من فوائد سياسية واستراتيجية

المنطقة بعد أكثر من قرن على تشييده.

في مطلع القرن العشرين، وتحديدًا عام 1900، أطلق السلطان عبد الحميد الثاني مشروعه الطموح لمَد خط حديدي من إسطنبول حتى الحجاز، عابراً الأناضول وبلاد الشام (سوريا) والأردن. لم يخف السلطان عبد الحميد الثاني نيته في تسيير أداء فريضة الحج على الناس (وقد حصل بفعل ذلك على تبرعات ضخمة من المغرب ومصر والهند وجنوب إفريقيا وقازان، وشارك في الحملة خديوي مصر وشاه إيران ونظام حيدر آباد)، إضافة إلى بعد عسكري استراتيجي، فالخط الحديدي سيكون شرياناً عسكرياً ولوجستياً يُمكن الباب العالي من نقل قواته إلى الجناح الجنوبي بسرعة وكفاءة لم تكن ممكنة بالوسائل التقليدية.

بدأت أعمال إنشاء السكة من دمشق وانتهت عام 1908 في المدينة المنورة، وامتدت على طول 1,464 كم. وبفضلها اختصرت رحلة الحج من دمشق إلى المدينة المنورة من نحو خمسين يوماً بالقلابة إلى ما بين ثلاثة أيام وأربعة فحسب. كان المخطط مدّها إلى مكة المكرمة، بيد أن الحرب العالمية الأولى اندلعت قبل اكتمال هذا استكمال المشروع. وكان من أبرز ما ميّز تشييدها اعتماد الإدارة العثمانية على الجنود بدلاً من العمالة الخارجية، مما وفّر الأموال



“إن تقليص نفوذ إسرائيل في المنطقة، إلى جانب زيادة التضامن السياسي والاقتصادي بيننا، سيجلب الازدهار الاقتصادي والسلام والاستقرار إلى الشرق الأوسط والخليج والحدود الجنوبية لتركيا”.

وفي افتتاح القمة نفسها، دعت رئيسة بلدية غازي عنتاب التركية فاطمة شاهين، إلى إحياء سكة حديد خط الحجاز التاريخي وتعزيز التعاون مع سوريا في هذا الصدد. وقالت شاهين إن هناك فرصاً مهمة جداً في العلاقات التجارية مع سوريا يجب الاستفادة منها. ومن شأن هذا أن يساهم في تحسين البنى التحتية في سوريا وفي إعادة إعمارها.

لقد تطلعت قلوب المسلمين منذ أكثر من 120 عاماً إلى فكرة مشروع الخط الحجازي وباركت رؤية السلطان عبد الحميد، واليوم أيضاً، يهلل العالم الإسلامي لجهود إعادة إحياء ذلك الخط. وإذا كانت الصين قد أعادت إحياء طرق الحرير التاريخية بإطلاقها مبادرة «الحزام والطريق»، مستثمرةً في شبكة هائلة من الموانئ والسكك الحديدية والممرات اللوجستية عبر عشرات الدول، فإن الشرق الأوسط يمتلك بدوره إرثاً تاريخياً لا يقل أهمية. لكن التحدي المطروح اليوم لا يتمثل في استعادة أمجاد الماضي، بل في تحويل الموقع الجغرافي الاستثنائي للمنطقة إلى شبكة حديثة من الممرات الاقتصادية القادرة على ربط الخليج وبلاد الشام والأناضول بالأسواق العالمية، بما يجعل المنطقة شريكاً فاعلاً في حركة التجارة الدولية بما يعود بالفائدة للمنطقة أولاً وللعالم ثانياً.

العراقي الممتد من الخليج العربي عبر جنوب شرق الأناضول نحو أوروبا، وممرات القوقاز التي تربطها بالعالم عبر جورجيا، ومسار الربط مع السعودية عبر سوريا والعراق الذي تجسده اتفاقيات هذا الأسبوع.

بين إسطنبول والرياض... جغرافيا تنتظر

ما يُميّز الاتفاقيات الموقعة هذا الأسبوع عن سابقتها من الإعلانات والتصريحات هو طابعها التشغيلي الملموس: فالأمر يتعلق بمذكرات تفاهم مُحَدَّدة الموضوع وعمليات شحن تجريبية أثبتت جدواها الاقتصادية وأرقام مرجعية واضحة تُحدد نقطة الانطلاق وسقف الطموح. وهذا التحول من لغة الرؤى إلى لغة الإجراءات يُنبئ بأن الشراكة الاقتصادية التركية-السعودية دخلت مرحلة جديدة أكثر عملية وأعمق جذوراً.

الدور المحوري لكل من سوريا والأردن

كانت سوريا والأردن ترغبان في تعزيز النقل بينهما منذ سنوات. وفي اجتماع ثلاثي عقد في عمان يوم 7 أكتوبر/تشرين أول 2025، أعلن وزير النقل والبنية التحتية التركي عبد القادر أورال أوغلو عن “الخطوة الملموسة الأولى” لإعادة تفعيل خط الحجاز التاريخي، بالاتفاق على استكمال 30 كيلومتراً مفقوداً داخل الأراضي السورية، بالتعاون مع الأردن وسوريا.

ويشمل الاتفاق التعاون الفني وإعادة تأهيل البنية التحتية القائمة وربطها بشبكات النقل الدولية عبر تركيا وميناء العقبة الأردني، في إطار مذكرة تفاهم شاملة تهدف أيضاً إلى استئناف النقل البري بين تركيا والأردن عبر سوريا.

الوحدة الاقتصادية

وكما كان للخط الحجازي أهداف سياسية في وقته، فإن إعادة إحيائه اليوم لا تخلو بدورها من فوائد سياسية واستراتيجية، ففي كلمته في “قمة الأناضول لاقتصادات المدن” التي نظمتها وكالة الأناضول في ولاية غازي عنتاب يوم الثلاثاء 9 يونيو/حزيران، بمشاركة رفيعة المستوى من تركيا وسوريا، قال وزير التجارة التركي عمر بولات إن المشروع يمكن أن يساعد في الحد من نفوذ إسرائيل مع جلب المزيد من الازدهار والاستقرار إلى الشرق الأوسط:



الحركة النسوية السعودية بعين مراقب خارجي

مسبقاً عن البلد، وأحياناً للمقارنة بما يحلم أن تكون الحال عليه في مدينة فاضلة ما.

في حالة السعودية، التي تأتي في المرتبة الثالثة عالمياً من حيث عدد المقيمين الذين يمثلون حوالي 41% من الهيكل الديموغرافي في المملكة، لن يفوت أي مراقب خارجي التغير المتسارع لمكانة المرأة واستعادتها بعضاً من حقوقها، وتفعيل دورها في سوق العمل.

حين وصلت إلى العاصمة السعودية الرياض، كان أول ما لفت نظري، إلى جانب القيظ والحر الذي يمثل الصدمة الأولى لكثير من الناس ولا يمكن تجاهل مفعوله على أهل الرياض، أن تواجد

ماريا شعبان
مهندسة وكاتبة سورية

■ ينظر المغترب بعين المراقب الخارجي إلى التطورات والأحداث التي تطرأ على بلد الاغتراب بعين مختلفة حتى بعد مرور سنوات على إقامته فيها، إذ يملك ترف المسافة وإمكانية عدم الانحياز العاطفي التي تسمح له بمراقبة المشهد دون الانخراط الكليّ به.

وغالباً ما تميل وجهة نظر المغترب، مهما كانت صفة إقامته ومشروعيتها، إما للمقارنة ببلده الأصلي أو بالصورة النمطية التي كان قد كوّنها



💡 الشوارع والحياة اليومية لا تعكس إطلاقاً الصورة النمطية عن المملكة التي نقلته لنا قنوات الأخبار والمسلسلات 🎬

سنوات على إصدار الأمر الملكي بالسماح للنساء بقيادة السيارة الذي دخل حيز التنفيذ عام 2018 لا يزال الاحتفاء بذاك اليوم وذكره وذكره فعل مستمر إلى اليوم، فما من جلسة نسائية إلا وتعرّج نساء فيها للحديث عن الغبطة والامتنان لعدم اضطرارها لانتظار السائق أو التنسيق المسبق مع أحد رجال العائلة وجدولة تحركاتها وفقاً لظروفه ومواعيده وأحياناً رغبته لاصطحابها من النقطة ألف إلى النقطة باء ثم تاء، واحتمال كبير أن تواجه من ذلك الرجل تمللاً أو أن يرفض الذهاب إلى النقطة ثاء، وأن حرية التنقل هذه انعكست إيجاباً على نفسها وبالتالي على دورها في المجتمع الصغير والكبير.

مع التنويه إلى أن بعض النساء لم يلمسن بعد

المرأة في المشهد اليومي أمر طبيعي ومألوف، وأن الشوارع والحياة لا تعكس إطلاقاً الصورة النمطية القديمة عن المملكة التي نقلته لنا قنوات الأخبار والمسلسلات والتي سمعناها من غيرنا ممن عاش هنا.

تبدل الحال في السعودية بعد عام 2018 وتغير عما كانه من سنين، بالنسبة للنساء المغتربات أيضاً، ممن تعودن ربما في بلادهن على حيز حرية أكبر بكثير؛ إذ يتكرر على مسمع الوافدات الجدد، من نساء لا يجمعهن رابط سوى رابط الجغرافيا عبارات مثل: "أحمدي الله أنك انتقلت إلى الرياض بهذا الزمن لا قبله".

احتفاء مستمر بحرية الحركة

كانت حرية التنقل من أبرز التغييرات التي طرأت على حياة النساء السعوديات والنساء المقيمات في السعودية بضرورة الحال، لا سمياً أن السيارات الخاصة هي وسيلة النقل الأكثر اعتماداً في المملكة للتنقل نظراً للطبيعة الجغرافية والمناخ والتخطيط العمراني للشوارع والمدن. وبعد مرور قرابة ثماني



تنجزه أو تطمح لإنجازه. إذ تعد كل معركة صغيرة تكسبها امرأة واحدة في عائلة ما، مفتاحاً لفتح باب مغلق أمام قريباتها سواء أخواتها أو بناتها أو من محيطها، وبذلك تصبح قدوة لهن بهدوء ودون ضجيج.

شهد قانون ولاية الرجل على المرأة في السعودية تفككاً وتغييرات جذرية ومحورية وفقاً لمراسيم وقرارات ملكية صدرت بين عامي 2017 و2019، أبرزها قرار منح المرأة السعودية حقها بالسفر دون الحاجة للحصول على تصريح سفر من الولي.

ساعدت هذه القرارات العديد من النساء على أداء نشاطاتهن دون تقييدات بيروقراطية، ووضعت نساء أخريات في خانة النضال الفردي أمام رب الأسرة أو ولي الأمر للمطالبة بحقوقها التي كفلها لها القانون كفرد مستقل، بعضهن ينلن ما يطلبن بشق الأنفس وبعضهن يخسرن النزال أمام تصلب الرجل والمجتمع.

تجاهد المرأة السعودية مثل سائر نساء العالم لإثبات وجودها وقدرتها على الفعل وحققا بالتفاعل، تطالب بالعدالة وتسعى لكسر قيد هنا وبناء حصن هناك، ساندةً ظهرها على قوانين حديثة، خائفة من فجأة زوالها كما فجأة إصدارها.

وبالعودة للجلسات النسائية، تردد سيدة أن "بارك الله بالملك وولي عهده"، وتخاف أخرى من أن يكون كل شيء حلماً ستفقد منه رغبته مرور سنوات عليه

في نهاية المطاف، تبدل مشهد الاغتراب في السعودية وتغيرت معالم المدن في عين مراقبيها، يعيش المجتمع السعودي واحدة من أكثر التجارب الانتقالية جرأة، والفجوة التي نلاحظها بين الفضاء العام الذي يفتح ويتسع بسرعة وبين خلفيات أسرية لا تزال تحاول استيعاب هذا التحول، هي ظاهرة طبيعية في مجتمعات تحاول جاهدة السعي للحدأة مع المحافظة على أساسيات مجتمعية لتفادي تشكل شرخ كبير بين الأجيال وبين الجنسين.

١١ تسعى المرأة السعودية للتفاوض على مساحات حريتها سعياً يجبر المراقب على تقديرها واحترامها ١٢

مفعول مثل هذه الحريات فور أن صدر الأمر الملك بالسماح ونُشر، إذ تبقى السلطة الأبوية للأب والأخ، والعم والخال أحياناً، صاحبة قرار وتحكم في المجتمع، ولم تقبل جميع العائلات هذا الانقلاب الكلي الذي غير من هيكلية الأسرة وحد من التحكم بنساء العائلة وفقاً للعرف السائد.

النسوية كحركة فردية

من النقاط التي تستدعي الانتباه في المجتمع السعودي عامة والمجتمع النسوي خاصة، هو غياب النسوية بمفهومها الحركي أو التنظيمي التقليدي، كجمعيات مستقلة أو مظاهرات أو حملات مطالبة بحقوق أو مناهضة لتصرفات. لكن هذا الغياب قد خلق حراكاً صامتاً يستمد قوته من كفاءة الفرد وحده وليس التنظيم الجماعي، فتجد المرأة السعودية تخوض معاركها بمفردها وتتحول كل امرأة إلى مركز ثقل بذاتها، الأمر الذي حمى الحراك النسائي من التنميط والشيطنة، وسط ضغوطات اجتماعية وبيئة أبوية خصبة.

تسعى المرأة للتفاوض على مساحات حريتها والسعي للاستقلال المادي سعياً جاهداً يجبر المراقب على تقديرها واحترامها، خصوصاً لما تواجهه من تقييمات أخلاقية بالخفاء والعلن لكل ما



فلسطين

تدفع ثمن انهيار النظام الأخلاقي العالمي



محمد ناصر جاويد

كاتب وصحفي وباحث في النزاعات
الدولية، باكستان

ما يجري في فلسطين ليس استثناءً. إنه الوجه الحقيقي للقسوة التي يزرع تحتها العالم. لقد مزّق الغطاء الرقيق ليكشف عن سلسلة أزمات تطارد

■ شهد العالم إبادةً جماعية حية في فلسطين يمكن القول إنها الإبادة الجماعية الأولى والأكثر توثيقاً في القرن الحادي والعشرين. لم تكتف هذه المجزرة بالنيل من مصداقية المؤسسات الدولية، بل كشفت عن الانحطاط الأخلاقي لأكثر زعماء العالم، وأذهلت الضمير العالمي وأعادت الإنسانية إلى أعماق سؤال عجزنا عن الإجابة عنه لأجيال: ما هي الطريق المثلى لإدارة هذا العالم حقاً؟

بحقوق الإنسان وسيادة القانون الدولي والأمن الجماعي، من رصيده وشرعيته في أعين شريحة واسعة من البشرية.

قد زاد هذا الخلل الحضاري المتجذر من حدة الازدواجية الصارخة المتغلغلة في صميم السياسة الخارجية الغربية. بل الداء أعمق من ذلك: فالأمم المتحدة وأمثالها تقف عاجزة، وأوروبا تدير وجهها في معظم الأحيان، أما من يتشدقون بالرغبة في الحل فيلوذون بصمت وقح مريب.

وما بدأ أزمات جيوسياسية متفرقة تحوّل الآن إلى شيء أكبر بكثير: كوكب بأكمله يعاني من عدم الاستقرار والتشرذم والإرهاب الأخلاقي. من دمار غزة والمواجهة المتسعة المتعلقة بإيران، إلى الحرب الطاحنة في أوكرانيا، تشهد الإنسانية ليس مجرد نزاعات إقليمية، بل انفراساً للنظام الدولي الذي أسس عام 1945.

الأخلاق الانتقائية

لقد سقطت الفرضيات القديمة والقانون الدولي يخضع للانتقائية، والمؤسسات العالمية مشلولة، والدبلوماسية في تراجع، واللغة الأخلاقية صارت مساومة وتغلبت القوة على المبادئ.

يصف الباحثون هذه اللحظة التاريخية بأنها عصر الأزمات المتعددة، بمعنى حالة من تقاطع أزمات متعددة يعزز بعضها بعضاً ويضاعف من حدتها ما يجري من حروب وانهيار مناخي وتفاوت اقتصادي وتآكل ديمقراطي وانعدام الأمن الغذائي وصعود القومية المتشددة. ما يميز هذه الأزمات المتعددة عن عدم الاستقرار العادي أنها غير منفصلة عن بعضها البعض؛ فكل منها يغذي الآخر، ما يولد هشاشة منظومية على نطاق عالمي.

وقد غدت كارثة فلسطين شعار هذه الفوضى وما يجري في غزة ليس مجرد نزاع إقليمي؛ بل هو محاكمة أخلاقية للمنظومة الدولية برمتها. وزعزعت صور الأحياء المسواة بالأرض والمدنيين

لا يمكن للقرن الحادي والعشرين أن يصمد إلى ما لا نهاية في ظل نماذج قيادية تقوم على الاستعراض والانتقام والقومية المفرطة

كوكبنا: حروب لا تنتهي وتحولات جيوسياسية عنيفة وانهيار مناخي متسارع وتحلل اقتصادي وتداع في منظومات الحوكمة، وهجرات قسرية واضطراب تكنولوجي متواصل كلها تتغذى على بعضها في أزمة دائمة متجددة. والأمر كما قال رئيس لجنة الإنقاذ الدولية ديفيد ميليباند محذراً: لقد دخلنا عصر فوضى عالمية جديدة. عصر كشف عن عجز مرعب لدى قادة اليوم عن حكم شعوبهم، فضلاً عن قيادة الإنسانية.

مثال واحد يقول كل شيء: أكثر من 240 مليون إنسان حول العالم بحاجة ماسة إلى الإغاثة بسبب الأزمات الإنسانية المتفاقمة. ولكن لننظر إلى غزة أولاً، وهي تنزلق نحو هاوية من الصمت المعتم، صمت يفضح قسوة عالمية أشمل، ويكشف كيف صارت المعاناة الإنسانية سلعة رخيصة في الحسابات الجيوسياسية المعاصرة.

غزة فلسطين

ما يجري في فلسطين تجسيد حي لصورة عالم ينزلق نحو الفوضى الهيكلية. وتقف هذه المأساة شاهداً قاطعاً على الشلل والتفكك الأخلاقي الذي ينخر النظام الدولي المعاصر.

لا يتعلق الأمر بإخفاق العالم في وقف الحرب فقط. بل أعراض داء حضاري أعمق: انحسار المبادئ الكونية أمام الأخلاق الانتقائية والبراغماتية الجيوسياسية، وسياسة القوة التعاملية. لقد كشف تدمير غزة حجم ما فقده النظام الليبرالي الذي نشأ عام 1945، ذلك النظام الذي قامت دعائمه يوماً على وعود



ذاتها التي يقوم عليها الاستقرار العالمي ما بعد الحرب.

حين تنهار المصادقية

ما يضعف هذا الإدراك هو الدعم الأمريكي الدبلوماسي والعسكري الثابت لإسرائيل. تواجه الولايات المتحدة، التي لا تتوانى عن تقديم نفسها حارسةً للديمقراطية وحقوق الإنسان، انتقادات متصاعدة بسبب ما يبدو عجزاً عن كبح سياسات يدينها العاملون في المجال الإنساني والمنظمات الحقوقية وقطاعات واسعة من الرأي العام العالمي. فيما تمتد التداعيات أبعد من المشرق الأوسط بكثير.

من آسيا إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية، تزداد خيبة الأمل من المؤسسات الغربية. ويرى كثيرون في النظام العالمي الراهن نظاماً بعيداً كل البعد عن القواعد بل هو بنيةً هرمية تقوم على المساءلة

ينهشهم الجوع والأطفال المصدومين والتهجير الجماعي والمستشفيات المُهدّمة، الوعي العالمي بما لم تنجح فيه أكبر الأحداث منذ عقود.

سواء أكان ما يحدث في غزة إبادة جماعية أم لا (وفق التعريف القانوني)، إلا أن ضخامة الكارثة قد أسهمت في تغيير تصورات النظام العالمي المعاصر تغييراً جوهرياً. تمثل غزة بالنسبة لملايين البشر في دول الجنوب العالمي، انهيار مصادقية النظام الليبرالي الدولي، النظام الذي وعد بحقوق الإنسان الكونية والأمن الجماعي والتطبيق المتكافئ للقانون الدولي. لكن ما يراه الجزء الأكبر من العالم هو أخلاق انتقائية.

لقد بلغ التناقض درجة لا يمكن تجاهله فيها: القانون الدولي يطبق بحزم في بعض النزاعات بينما يعلق في أخرى. ولا يضر هذا التضارب بالثقة في السياسة الخارجية الغربية فحسب، بل في البنية المعيارية

مع أزمات مناخية متفاقمة، وارتفاع متزايد في النزعة الاستبدادية، وانعدام الأمن الغذائي وشح المياه والاضطراب التكنولوجي الناجم عن الذكاء الاصطناعي والتلاعب الرقمي. والنتيجة ما يسميه كثير من المحللين حالة الأزمة الدائمة؛ إنها حالة لا تنتقل فيها المجتمعات من الأزمة إلى التعافي، بل من زعزعة استقرار مباشرة إلى زعزعة أخرى.

وقد وصف وزير الخارجية البريطاني الأسبق ديفيد ميليباند هذه الحال بـ«الفوضى العالمية الجديدة»، عصر لا تُعرّف فيه المنظومة بقواعد للدول وحقوق للأفراد، بل يُعرّف بصورة متزايدة بانعدام الاثنين معاً.

بالفعل، يحتاج قرابة مئتين وأربعين مليون إنسان حول العالم اليوم إلى مساعدات إنسانية. الملايين نازحون بفعل الحرب والاضطهاد والانهيال الاقتصادي والكوارث البيئية. مجتمعات بأكملها تعيش في ظل الإرهاب واليقين المنعدم.

لكن وراء هذه الأزمات مشكلة أعمق بعد: الإخفاق المتنامي في القيادة السياسية ذاتها. لا يعاني العالم المعاصر من النزاعات فقط، بل من عجز خطير في رجولة الدولة.

يبدو كثير من القادة اليوم محاصرين في دوامات الشعبوية والمطلقية الأيديولوجية والقومية المفرطة والسياسة الاستعراضية. بات الحكم يُعَلَى من الاستقطاب العاطفي على حساب الرؤية بعيدة المدى. كما أصبح الخطاب السياسي يكافئ الانقسام أكثر مما يكرّس الحكمة. وكثيراً ما يخاطب القادة جماعاتهم الانتخابية الضيقة بدلاً من مخاطبة الإنسانية جمعاء.

سياسات اليمين المتطرف

شخصيات مثل بنيامين نتنياهو ودونالد ترامب وناريندرا مودي وغيرهم من القادة الشعبويين من اليمين المتطرف في أوروبا تجسّد تعبيرات مختلفة

ما يجري في فلسطين تجسيد حي لصورة عالم ينزلق نحو الفوضى

الانتقائية، حيث القوة تحدد الشرعية، والتحالفات تحدد الأخلاق. وتمثل هذه النظرة تحولاً جيوسياسياً بالغ الأهمية.

فهي تعزز القوى التعديلية والتحدي للنظام القائم، وتعمق الاستقطاب العالمي، وتضعف التوافق الدبلوماسي، وتُذكي ظهور كتل جيوسياسية متنافسة. إن العالم يتشظى إلى مناطق نفوذ متنافسة تجمعها المظالم والاستياء وانعدام الثقة الاستراتيجي.

في الوقت ذاته، تهدد المواجهة المتسعة المحيطة بإيران بإشغال منطقة غير مستقرة أصلاً. يشبه الشرق الأوسط اليوم برميل بارود جيوسياسياً قد يؤدي أي خطأ في الحسابات إلى تفجير تصعيد كارثي يشمل فاعلين إقليميين وعالميين. لا يكمن الخطر في الحرب ذاتها فحسب، بل في تطبيع الاستقرار الدائم.

الأزمة الدائمة

وبالمثل، أعادت الحرب في أوكرانيا إحياء العداءات على نمط الحرب الباردة وعسكرة السياسة العالمية من جديد. وها هي أوروبا تعيد تسليح نفسها بوتيرة لم تشهدها منذ عقود. الميزانيات العسكرية في تصاعد حاد حول العالم والتنافس الاستراتيجي بين القوى الكبرى بات يُعرّف العلاقات الدولية بصورة متزايدة. لغة الردع حلت محل لغة الدبلوماسية. والإنسانية تدخل تدريجياً عالماً يحكمه التنافس الأمني أكثر مما يحكمه التعاون.

المأساة أن هذه الأزمات غير معزولة. إنها تتشابك



التغير المناخي مشتتة وغير كافية، وتخضع في كثير من الأحيان لحسابات سياسية قصيرة الأمد.

نحن أمام حالة مذهلة من التناقض الأخلاقي: لقد بلغت الإنسانية مستوى غير مسبوق من التطور التكنولوجي، ومع ذلك هي عاجزة عن تنظيم نفسها حول بقاء الجنس البشري.

التحلل الاقتصادي

تفاقم اللامساواة الاقتصادية هذه الأزمة بصورة أكبر. فنسبة ضئيلة للغاية من الثروات تتعايش جنباً إلى جنب مع أغلبية ساحقة تعيش عيشة هشة. فبينما يكافح مليارات البشر في مواجهة الفقر والبطالة وتدهور الأنظمة الصحية ومحدودية فرص التعليم، تواصل النخب مراكمة مستويات استثنائية من النفوذ الاقتصادي والتكنولوجي.

ويؤدي هذا الاختلال إلى إضعاف التماسك الاجتماعي وتأجيج مشاعر السخط تجاه المؤسسات الديمقراطية التي يُنظر إليها على أنها تخدم مصالح الأوليغارشيات الاقتصادية أكثر مما تخدم المصالح العام.

عن تحوّل عالمي أشمل نحو القومية الأغلبية وسياسات الهوية والاستقطاب الأيديولوجي. هذه الظاهرة ليست محصورة في بلد أو حضارة واحدة. إنها ظاهرة كونية.

تزدهر سياسة اليمين المتطرف في أوقات القلق الاقتصادي وانعدام الأمن الثقافي والتغيير الديموغرافي والتشرد الاجتماعي. إنها تعد باليقين والقوة والنهضة الوطنية، لكنها في الغالب تُعمّق الخوف والتعصب والتآكل الديمقراطي. الأقليات تصبح كبش فداء والمهاجرون يصبحون تهديداً، والمعارضة تصبح خيانة.

لقد أسهم صعود المنظومات الرقمية في تسريع هذا التدهور. فوسائل التواصل الاجتماعي تضخم مشاعر السخط والغضب، وتنشر المعلومات المضللة ونظريات المؤامرة، والانقسام الأيديولوجي القائم على العصبية والانتماءات الضيقة. وأضحى النقاش العام يكافئ الإثارة والاستعراض أكثر مما يقدّر المضمون والجوهر. بل إن الحقيقة نفسها باتت ميداناً للصراع والتنازع.

في كثير من المجتمعات، يتراجع التعاطف الإنساني بينما يتحول الغضب إلى رأسمال سياسي يُستثمر في المنافسة على النفوذ والسلطة. في الوقت نفسه، تواجه البشرية كوارث على مستوى الكوكب. فالتغير المناخي لم يعد تهديداً مستقبلياً، بل هو كارثة ماثلة أمامنا اليوم. إذ تتسبب موجات الحر والجفاف والفيضانات وحرائق الغابات وارتفاع مستويات البحار في إلحاق أضرار جسيمة بالمجتمعات عبر مختلف القارات. كما يهدد شحّ المياه مناطق بأكملها في إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا. وتزداد النظم الغذائية هشاشة أمام النزاعات والاضطرابات البيئية.

ومع ذلك، ورغم التحذيرات المتواصلة التي يطلقها العلماء حول الأضرار البيئية التي قد تصبح غير قابلة للإصلاح، لا تزال الجهود العالمية لمواجهة

ولعل في أزمة اللاجئين أوضح مثال حول الإخفاق العالمي في إبداء التعاطف الإنساني والتضامن الدولي.

الخطر الأعظم الذي يواجهه العالم اليوم هو إذن خطر حضاري. تدخل الإنسانية عصراً تبدو فيه المؤسسات أضعف من الأزمات، والسياسة أصغر من المشكلات، والقيادة أعجز من أن تمتلك الخيال الأخلاقي. تبدو الأمم المتحدة ذاتها، رغم إسهاماتها الإنسانية الجسيمة، أسيرة بين المثل العليا والنقض الجيوسياسي. المؤسسات التي صُممت لمنع الكوارث باتت في الغالب تُدير الكارثة بعد وقوعها لا أكثر.

ملايين الفارين من الحروب والتفتت البيئي يواجهون الجدران بدل الحماية، والتشكيك بدل التضامن. وغالباً ما تستحضر الدول الغنية خطاب حقوق الإنسان على المستوى الخطابي، بينما تتجنب عملياً تقاسم المسؤوليات بشكل عادل ومتوازن. تبدأ الحضارة بفقدان بوصلتها الأخلاقية عندما يُنظر إلى البشر المهجرين أساساً بوصفهم أعباء، لا بوصفهم إخوة في الإنسانية.

وفي هذا الشلل رسالة مدمرة إلى العالم، فهذا يعني أن معاناة المدنيين يمكن أن تصبح أمراً عادياً حين تغطي المصالح الاستراتيجية على المسؤولية الأخلاقية. لا شيء يكشف هذه الأزمة بجلاء كما تكشفه قضية فلسطين. إنها المرأة التي يرى فيها العالم تناقضاته.

ختاماً

ومع ذلك، نُعلّمنا التجربة التاريخية أن الفوضى العميقة قد تُفضي إلى تجديد فكري وسياسي. فلحظات الانهيار قد تدفع الحضارات أحياناً إلى إعادة النظر في افتراضاتها وإعادة بناء أسسها الأخلاقية.

لا يحتاج العالم إلى مجرد وقف لإطلاق النار أو مساعدات إنسانية أو ترتيبات دبلوماسية مؤقتة، وإن كانت كلها ضرورية. ما يحتاجه هو منظومة أخلاق عالمية جديدة متجذرة في مساواة الكرامة

الإنسانية ودبلوماسية مبدئية وتعاون متعدد الأطراف وتطبيق متساوٍ للقانون الدولي.

تحتاج مؤسسات الحوكمة العالمية إلى إصلاح جدي لتصبح أكثر تمثيلاً ومصادقية وفاعلية. ينبغي أن تستعيد الدبلوماسية أولويتها على حساب العسكرية. يجب أن يصبح العمل المناخي أولوية حضارية لا نقاشاً هامشياً في هوامش السياسة. ينبغي أن تصبح المنظومات الاقتصادية أكثر إنسانية وشمولاً. والأهم من ذلك كله، لا بد من إعادة تصوّر القيادة السياسية ذاتها.

لا يمكن للقرن الحادي والعشرين أن يصمد إلى ما لا نهاية في ظل نماذج قيادية تقوم على الاستعراض والانتقام والقومية المفرطة والمواجهة الدائمة. تحتاج الإنسانية إلى قادة قادرين لا على كسب الانتخابات أو الحروب فحسب، بل على صون الحضارة ذاتها. المخاطر وجودية.

مسار واحد يقود نحو تشرذم أعمق وانهيار بيئي وحروب دائمة واستبداد تكنولوجي وكرثة إنسانية متطبّعة. والآخر يقود نحو التعاون والعدالة والاستدامة والعيش المشترك الآمن. الاختيار ليس سياسياً فحسب؛ إنه حضاري.

إذا اكتفينا بذكر غزّة فقط كمجرد صراع آخر يُضاف إلى سجلّ الحروب، فإن العالم لن يكون قد تعلّم شيئاً. أمّا إذا أدّت هذه الأحداث إلى دفع الإنسانية نحو مواجهة إفلاس الأخلاق الانتقائية، ومخاطر سياسات القوة غير المقيدة، والحاجة الملحة إلى إعادة بناء منظومة أخلاقية عالمية، عندها فقط يمكننا استجلاء بارقة أمل ومعنى من هذه المأساة.

وإلا، فسينظر مؤرخو المستقبل إلى هذه المرحلة بوصفها المرحلة التي امتلكت فيها البشرية كل الموارد الضرورية لتفادي الكارثة، لكنها كانت تفقر إلى الحكمة والشجاعة والقيادة الأخلاقية اللازمة لتحقيق ذلك.

الزواج

بين المثالية الافتراضية والواقع

د. محمد عماد صابر

متخصص في الدراسات الإسلامية وبرلماني سابق. مصر



المطالبات القانونية المجردة.

كما ساهمت بعض الخطابات الحديثة في ترسيخ فكرة الصراع بين الرجل والمرأة. فأصبح كل طرف يُصوّر على أنه خصم للطرف الآخر، وتحولت العلاقة التي أرادها الله علاقة تكامل إلى معركة نفوذ وسلطة. وأصبحت بعض النساء ينظرن إلى نجاح الرجل على أنه تهديد لهن، وبعض الرجال ينظرون إلى نجاح المرأة على أنه انتقاص من مكانتهم. والحقيقة أن هذه الرؤية تتناقض مع التصور الإسلامي الذي يجعل الزوجين شريكين متكاملين، كما قال تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ). فاللباس لا يصارع صاحبه، وإنما يستره ويحميه ويكمله.

ومن المفاهيم التي تسببت في اضطراب الحياة الأسرية أيضًا مفهوم الحرية المطلقة. فقد رُوج لفكرة أن الإنسان لا ينبغي أن يقيد شيء، وأن الالتزامات الأسرية عبء يحد من حرية الفرد. ومع مرور الوقت أصبح البعض ينظر إلى الزواج والأبوة والأمومة بوصفها قيودًا لا مسؤوليات نبيلة. بينما الحقيقة أن كل إنجاز إنساني يحتاج إلى التزام، وأن الأسرة لا يمكن أن تستقر إذا تعامل أفرادها بمنطق الرغبات المتقلبة والمزاج الشخصي.

فتور المشاعر ليس نهاية الطريق

وزاد الأمر تعقيدًا انتشار ثقافة المشاعر اللحظية،

■ من المفاهيم التي ألحقت أضرارًا كبيرة بالأسرة فكرة "الشريك المثالي". فالمسلسلات والأفلام والروايات العاطفية صنعت صورة خيالية للرجل الكامل والمرأة الكاملة والحب الكامل الذي لا يعرف خلافًا ولا فتورًا ولا أخطاء. ثم عندما يصطدم الزوجان بواقع الحياة الطبيعية يبدآن في الشعور بخيبة الأمل، لأن كل واحد منهما يقارن شريك حياته بصورة وهمية لا وجود لها في الواقع. في الوقت نفسه، يعلمنا الإسلام أن البشر يخطئون ويقصرون، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يَفْرَك (أي لا يكره) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر». فالنجاح الزوجي لا يقوم على الكمال، وإنما يقوم على تقبل النقص البشري والتعامل معه بحكمة ورحمة.

ومن أخطر التحولات الفكرية المعاصرة أيضًا تحويل الزواج إلى معادلة قانونية جافة قائمة على الحقوق فقط. فأصبح الحديث يدور باستمرار حول حقوق الزوج وحقوق الزوجة، بينما تراجع الحديث عن الإحسان والفضل والتسامح والعطاء والتضحية. ومع أن الحقوق ضرورية لحفظ العدالة، إلا أن الأسرة لا تبنى بالقوانين وحدها. فالقاضي يستطيع أن يلزم الرجل بأداء حقه، لكنه لا يستطيع أن يزرع المودة في القلوب، ولا أن يصنع الرحمة بين الزوجين. ولذلك كان القرآن الكريم يتحدث عن "المعروف" و"الإحسان" و"المودة" أكثر من حديثه عن لغة

والسنة والخبرة الأسرية الراشدة، بل أصبحت المسلسلات والمؤثرين والمشاهير ومنصات التواصل. وهنا تكمن الأزمة الحقيقية؛ لأن الإنسان يتبنى تدريجياً قيماً ومفاهيم قد لا يشعر أصلاً أنها تتعارض مع دينه وفطرته حتى تبدأ أثارها السلبية بالظهور في بيته وعلاقاته.

الأسرة المسلمة اليوم بحاجة إلى استعادة وعيها بمفهوم الزواج كما أراده الله تعالى سكتاً لا صراعاً، ومودة لا منافسة، ورحمة لا محاسبة دائمة، وتكاملاً لا تنازُعاً على الأدوار. فالأزمة الكبرى ليست في قلة الموارد أو كثرة الضغوط فحسب، بل في المفاهيم التي تحكم طريقة تفكيرنا ونظرتنا إلى الحياة الزوجية. فإذا صلحت المفاهيم، أمكن إصلاح كثير من المشكلات، أما إذا فسدت المفاهيم، فلن تنجح كثرة الدورات ولا النصائح في تحقيق الاستقرار المنشود.

ولهذا نقول إن حماية الأسرة المسلمة تبدأ أولاً بحماية الوعي وتصحيح التصورات والعودة إلى المنهج الرباني الذي جعل الزواج آية من آيات الله وميثاقاً غليظاً وسكناً ومودة ورحمة، وركناً أساسياً في بناء الأمة ونهضتها.

خاتمة:

الزواج الهانئ لا يصنعه المال وحده ولا الجمال وحده ولا الظروف المثالية، وإنما تصنعه القلوب المؤمنة والعقول الواعية والنفوس التي تعلمت فن العطاء والتفاهم والتسامح.

وكل بيت يحرس أهله على ترسيخ المودة والرحمة والاحترام والحوار والتغافل والتعاون، ويجعلون رضا الله تعالى غايتهم الكبرى، هو بيت أقرب إلى السكينة والسعادة مهما واجه من تحديات.

نسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوب الأزواج والزوجات، وأن يجعل بيوتنا عامرة بالمودة والرحمة، وأن يرزق أسر المسلمين الاستقرار والسعادة والبركة. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حيث أصبح كثير من الناس يربطون نجاح الزواج بقوة المشاعر فقط. فإذا ضعفت المشاعر فترة من الزمن ظنوا أن الحب انتهى وأن العلاقة فشلت. بينما تؤكد التجربة الإنسانية أن المشاعر تمر بمراحل من الصعود والهبوط، وأن الزواج الناجح لا يقوم على المشاعر وحدها، بل على الالتزام والوفاء والصبر وتحمل المسؤولية. ولهذا وصف الله الزواج بأنه "ميثاق غليظ"، ولم يصفه بأنه مجرد علاقة عاطفية مؤقتة.

ثم جاءت وسائل التواصل الاجتماعي لتضيف تحدياً جديداً. فكل يوم يرى الزوج أو الزوجة عشرات الصور والمقاطع التي تعرض حياة مثالية مصطنعة، وسفرًا دائماً، وهدايا في كل مناسبة، ورومانسية لا تنتهي. ومع كثرة المقارنات يبدأ الشعور بالسخط على الواقع، رغم أن كثيراً مما يُعرض ليس سوى لحظات منتقاة بعناية لإبهار المتابعين. وهكذا أصبح بعض الناس يقارنون حياتهم الحقيقية بمشاهد افتراضية مزيفة، فازدادت الفجوة بين التوقعات والواقع.

ومن أخطر النتائج كذلك إضعاف قيمة الأمومة والأبوة. ففي بعض الخطابات المعاصرة تُصوّر الأمومة وكأنها عائق أمام تحقيق الذات، ويُصوّر الإنجاب وكأنه عبء يجب التخلص منه أو تأخيرته قدر الإمكان. بينما تنظر الرؤية الإسلامية إلى بناء الأسرة وتربية الأبناء على أنها من أعظم الرسائل الإنسانية وأجل الأعمال التي يترك الإنسان أثرها من بعده.

كما انتشرت ثقافة الاستهلاك في العلاقات الإنسانية. فكما تُستبدل السلع عند أول عيب، أصبح بعض الناس يفكرون في استبدال العلاقات عند أول مشكلة. فتراجعت قيم الصبر والإصلاح والتسامح، وارتفعت معدلات الانفصال لأسباب كان يمكن علاجها بالحوار والحكمة والتدرج في الحلول.

ولعل أخطر ما في هذه التحولات كلها أن المرجعية في فهم الزواج لم تعد في كثير من الأحيان القرآن



فتح القسطنطينية

كيف تصنع الأمة النصر قبل أن تصنع المعركة



محمد أبو عجور

ناشر ومفكر إسلامي. مصر

■ في التاسع والعشرين من مايو عام 1453م، الموافق 20 جمادى الأولى سنة 857هـ، تحقق واحد من أعظم التحولات في تاريخ الأمة الإسلامية والعالم، حين نجح السلطان العثماني محمد الفاتح في فتح القسطنطينية بعد قرون طويلة من المحاولات والصراع، لتسقط بذلك عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وتبدأ مرحلة جديدة في التاريخ الحضاري والسياسي للعالم.

لم يكن فتح القسطنطينية مجرد معركة عسكرية انتهت بسقوط مدينة عظيمة، ولم يكن حدثًا تاريخيًا يُروى من باب الفخر بالماضي فقط، بل كان درسًا تربويًا واستراتيجيًا بالغ العمق، يكشف كيف تُبنى الأمم، وكيف تتحول



نوره الجزيرة العربية وملأ نفوس المسلمين إيماناً وحماسة.

حين وقف النبي ﷺ وأعلن بشارته الشهيرة: "لنفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"، لم يكن يصنع حالة حماس عاطفية مؤقتة، بل كان يؤسس رؤية استراتيجية طويلة المدى داخل عقل الأمة. كان يغرس يقيناً بأن الأمة التي تلتزم بمنهج الله، وتبني الإنسان وتأخذ بأسباب القوة، قادرة على تغيير موازين العالم مهما بدا الواقع مغلقاً.

وهنا يظهر الفرق بين أمة تمتلك "رسالة" وأمة تعيش فقط داخل حدود الواقع المفروض عليها.

مرت قرون طويلة بين البشارة وبين الفتح الحقيقي، تعاقبت فيها دول وأجيال وحروب وهزائم وصراعات داخلية، ومع ذلك لم تمت الفكرة ولم تتوقف المحاولات، ولم يتحول التأخر إلى يأس أو تكذيب. لأن الأمة كانت تفهم أن بعض المشاريع الحضارية الكبرى لا تُبنى في سنوات، بل تحتاج إلى

فتح القسطنطينية ليس مجرد ذكرى تاريخية بل هي دعوة لإعادة بناء الإنسان المسلم القادر على حمل الرسالة من جديد

العقيدة إلى مشروع، وكيف ينتصر الإنسان المؤمن حين يجمع بين الإيمان والرؤية والعمل والصبر الطويل.

القسطنطينية لم تكن مدينة عادية في وعي العالم آنذاك؛ كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ورمز القوة المسيحية الشرقية، والمدينة التي استعصت على الجيوش قرونًا طويلة حتى ظن الناس أنها لا تُفتح أبدًا. أسوارها شاهقة وموقعها الجغرافي بالغ التعقيد وتحالفاتها الدولية واسعة وإمكاناتها العسكرية ضخمة، ولذلك تحولت في العقل الجمعي إلى رمز "للمستحيل".

ولكن، على الجانب الآخر، لدينا دين الإسلام الذي عم



تراكم تاريخي طويل.

وهذا من أخطر الدروس التربوية التي تحتاجها الأمة اليوم.

فنحن نعيش في زمن يريد فيه الناس نتائج فورية دون بناء، وانتصارات بلا إعداد، وتحولات كبرى دون صبر أو تربية أو مشروع ممتد. بينما يعلمنا فتح القسطنطينية أن النصر الحقيقي يبدأ قبل المعركة بسنوات طويلة، بل ربما بقرون.

حاول المسلمون فتح القسطنطينية مرات عديدة منذ العصر الأموي، ووصلت جيوشهم إلى أسوارها مرارًا، واستشهد عندها صحابة كبار، لكن المدينة لم تُفتح. ومع ذلك، لا يمكن القول إن تلك المحاولات كانت فشلًا بالمعنى الحقيقي، بل كانت جزءًا من عملية البناء الحضاري الطويل.

كل جيل كان يضيف شيئًا: جيل يزرع الحلم وجيل يوسع المعرفة وجيل يطور أدوات الحرب وجيل يبني الإنسان وجيل يراكم الخبرة، حتى جاء الجيل

نحن نعيش في زمن يريد فيه الناس نتائج فورية دون بناء، وانتصارات بلا إعداد

الذي اجتمعت فيه كل عناصر النضج الحضاري. وهنا تتجلى سنة عظيمة من سنن النهضة: الأمم لا تسقط فجأة، ولا تنهض فجأة. التحولات الكبرى هي نتيجة تراكمات طويلة في التربية والفكر والوعي والعلم والإدارة والإرادة.

وحين نتأمل شخصية السلطان محمد الفاتح ندرك أن الرجل لم يكن معجزة ظهرت من الفراغ، بل كان ثمرة مشروع تربوي متكامل. فقد تربى منذ طفولته على معاني القيادة والعلم والجهاد والمسؤولية الحضارية، وكان يشعر منذ صغره أن حياته مرتبطة بهدف كبير يتجاوز ذاته ومصالحه الشخصية.

لقد آمن بـ"الرسالة" في داخله قبل أن يمتلك السلطة. وهذه نقطة مركزية في بناء الأمم؛ فكثير من المجتمعات اليوم تُخرّج موظفين وباحثين عن المكاسب، لكنها لا تُخرّج أصحاب رسالات يحملون همّ الأمة ومشروعها الحضاري. بينما كانت التربية الإسلامية في عصور الحضارة تصنع الإنسان الذي يرى نفسه جزءاً من مهمة كبرى في الحياة.

ولهذا لم يكن محمد الفاتح مجرد قائد عسكري، بل نموذجاً متكاملًا من الرجال: يحفظ القرآن ويتقن اللغات ويفهم السياسة ويقرأ التاريخ، ويتابع التطورات التقنية ويستوعب طبيعة الصراع الحضاري. وقد فهم أن المعركة لا تُحسم بالشجاعة وحدها، بل بالعقل والتخطيط والتكنولوجيا وإدارة المعرفة. ومن هنا جاء استخدام المدافع العملاقة التي صنعها العثمانيون بأيديهم، والتخطيط الذكي وما تبعه من نقل للسفن فوق اليابسة، والحصار المركب، إضافة إلى إدارة الحرب النفسية والسياسية.

ونشير هنا إلى خطأ قاتل تقع فيه الأمم حين تفصل بين الدين والقوة المادية، وكأن الإيمان وحده يكفي دون إعداد أو كُن التكنولوجيا والعلم أمور منفصلة عن المشروع الإسلامي. بينما القرآن نفسه يربط النصر بالأخذ بالأسباب: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). فالقوة في المفهوم الإسلامي ليست فقط قوة السلاح، بل قوة العلم والاقتصاد والإعلام والتكنولوجيا والإدارة والوعي وبناء الإنسان.

فتح القسطنطينية لم يكن انتصاراً عسكرياً فقط، بل إعلاناً عن نجاح نموذج حضاري كامل.

لقد استطاع المسلمون أن ينتقلوا من حالة الدفاع والتشتت إلى حالة المبادرة وصناعة التاريخ لأنهم امتلكوا رؤية واضحة وربطوا بين العقيدة والحياة، وبين الإيمان والعمل وبين الروح والمادة. والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى استعادة هذا الفهم. فالكثير من الأزمات المعاصرة ليست أزمة نقص أعداد أو

موارد إطلاقاً، بل أزمة رؤية وتربية وإدارة ووعي حضاري.

أصبح كثير من الناس يعيشون داخل اللحظة، أسيري الأخبار اليومية والانفعالات المؤقتة، بينما المشاريع الكبرى تحتاج إلى نفس طويل وصبر استراتيجي وعمل تراكمي وإعداد أجيال كاملة.

إن أخطر ما فعله الاستعمار الحديث بالمجتمعات الإسلامية عدا عن سرقته للأرض، أنه حاول تفكيك العقل الحضاري للأمة، وتحويلها من أمة صاحبة مشروع عالمي إلى شعوب منشغلة فقط بالبقاء والاستهلاك وردود الأفعال.

ومن هنا، لا يمكن لفتح القسطنطينية أن يكون مجرد ذكرى تاريخية نحتفل بها، بل هي دعوة لإعادة بناء الإنسان المسلم القادر على حمل الرسالة من جديد. الأمة التي تريد التحرر الحقيقي لا يكفيها الخطاب العاطفي، بل تحتاج إلى تربية عميقة ومشروع واضح وقيادة واعية، وعلم وتكنولوجيا واقتصاد قوي ومؤسسات فاعلة، ووعي إعلامي وصبر تاريخي طويل.

فالقسطنطينية لم تُفتح بِحَدِّ السيف وحده، بل فُتحت قبل ذلك بعقول أحسن بناؤها، ونفوسٍ رُبِّيت على الإيمان، وإراداتٍ صيغت على الصبر والعلم والانضباط. وما إن تكتمل صناعة الإنسان الواعي برسالته، الجامع بين العقيدة الراسخة والمعرفة النافعة والعمل الدؤوب، حتى تصبح العقبات التي تبدو عصية على التجاوز مجرد مراحل في طريق الإنجاز.

ومن هنا تتجلى الحقيقة الأعمق التي كشفها فتح القسطنطينية؛ فالنصر ليس حدثاً عسكرياً عابراً يُقاس بساعات المعركة أو بعدد الجيوش، بل هو الثمرة الأخيرة لمسار حضاري طويل يبدأ من بناء الإنسان، وترسيخ الثقة بالله ثم بالنفس، وغرس اليقين بإمكان التغيير.



قول في الهزل



شيرين دقوري

ماجستير فلسفة، دبلوم دراسات
إسلامية. سوريا



الهزل بوصفه رديفاً للمزح والضحك والترويح عن النفس للهروب من واقع محمل بالآلام والانتكاسات. وقد عبّر محمد كرد علي (1876-1950م) في وصف مصر عن هذا المعنى في قوله: "وفيها الهزل في غاية الإتقان" في مقالاته "هزل مصر والشام" التي نُشرت في مذكراته، يصف فيها حال النخبة الفكرية عند انصرافهم إلى جلسات الترويح والخوض في لهو الحديث على حد تعبيره.

أما الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون (-1859م) صاحب كتاب "الضحك"، فيحلل ظاهرة الهزل في المسرحيات الكوميدية والتراجيدية ويقدم

■ الهزل ضد الجدّ. والهزل: الكلام غير المعقول الذي يغلب فيه التمني والمبالغة ومخالفة المألوف والمتوقع، والذي ينكره الآخر فيضحك من تناقضه وغرابته، وهو كل كلام لا تحصيل له، أو هو الذي لا يُراد باللفظ معناه، لا الحقيقي ولا المجازي، كما عند الجرجاني في "التعريفات".

وفي القرآن الكريم: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلُ} [الطارق: 14-15] أي: ليس بهُذيان، ولا هو باللَّعب.

كتب الجاحظ (776-868 م)، وهو أول أديب عربي ساخر، رسالة "في فلسفة الجد والهزل" الغالب عليها أسلوب التهكم والهزل، بيد أنها تحمل وراءها رسائلًا وحكمًا وإشارات لا تخلو من الجد الموجه للوزراء والملوك في كيفية إدارة الدولة أخلاقياً وسياسياً. هذا الأسلوب مثل نموذجاً لكتابات الأدباء المتقدمين الساخرين.

في الكتابات الحديثة والمعاصرة غالباً ما يتم تناول

🔴 نحتاج اليوم إلى قتل الهزل لنحيي العزة والصرامة فينا ونبعث الجد والاجتهاد في أمور حياتنا 🟡

فلسفة للهزل المحيط بالإنسان، حيث يُرجع الضحك الفعل المنعكس عن الهزل إلى معنى ومدلول اجتماعي. فالهزل يعبر عن نوع من اللاتكيف في الشخص تجاه المجتمع المحيط به. وتُعد بيئة الهزل الطبيعية خلق "اللامبالاة" مع ما تحمله هذه اللفظة من أبعاد نفسية واجتماعية وخلقية؛ اللامبالاة والتبذل الشعوري والسلوكي تجاه الحياة وحوادثها. يقول: "الهزل يقتضي لكي يحدث كل أثره، شيئاً ما يشبه التخدير المؤقت للقلب، ويتوجه إلى الذكاء الخالص". فكل ما ارتبط بالقلب من وجدان وضمير وقيم وأخلاق، تتخدر ويُصيبها الشلل، والذكاء وحده بمعنى "الدهاء" آلة الهزل.

ويستطرد في التحليل بقوله إن الهزل أيضاً يتجلى في طغيان الشكل على العمق، وفيه الحرف يخاصم الفكر والوعي ويعاندهما. ولتقريب الفكرة نقول إن الهزل -مثلاً- يحمي القاضي والسياسي الفاسد وعلماء السلطان في حضرة قدسية المهنة. أما ما هو جوهر وقيمة كالعدالة والحق والقوة والعزة، فهي أمور ثانوية لا تهم المجتمع. وكأن الأساس هو وجود سياسيين وعلماء وقضاة من حولنا حتى ولو كان وجودهم شكلياً فقط لتجسيد هذه المهن؛ أي "أن نحترم الأشياء الخارجية في المهنة بدقة. وهكذا حلت الوسيلة على الغاية، ولم تعد المهنة تُصنع من أجل الجمهور بل الجمهور من أجل المهنة". فالمهم هنا أن تكون المهن محققة وفق الأصول. والأصول التي يقصد بها برغسون هي الالتزام بالشكل والقوانين أو القواعد الإجرائية المفروضة على الناس.

من هذا الباب نقول إنه حتى الموت بات محققاً وفق الأصول أي وفق موثيق القوانين الدولية المنحازة

لشعوب على حساب أخرى و"الهازئة" بشعوب والمبجلة لأخرى؛ موت بالقصف وبالأسلحة المُراد تجريبها، وبأساليب التعذيب في المعتقلات، وموت ببلاد الشتات والتهجير... كلها أشكال لموت وفق الأصول. أما الموت بالأسلحة الكيماوية أو النووية أو ما يحلو للمجتمعات الدولية الوقوف عليه فهو محرّم، والمواقف -إن وجدت- لا تتجاوز بيانات لمنظمات حقوق الإنسان أو خطب سياسية وتواقيع مناهضة. فالموت وفق الأصول أفضل من النجاة مع مخالفة الأصول كما يقول برغسون، ومهما حصل فإن "الإنسان الميت ليس إلا إنساناً ميتاً، ولكن الأصول المهملة تُضر ضرراً أكيداً بكل الجسم الطبي".

في السياق نفسه، سياق جدلية الشكل والجوهر، نستحضر ظاهرة عالمية وما يسمى بعيد المرأة العالمي، فبأية امرأة يحتفلون؟ وكيف نحتفل معهم بيوم المرأة وهي لا زالت في القرن الحادي والعشرين تُستخدم أداة للحرب للنيل من كرامة أنوثتها وشرف إنسانيتها، وهي المفجوعة في زوجها وولدها وأخيها وأبيها والقابضة في سجون الطواغيت، وهم يتفرجون. وهي المُستهلكة والمُستعبدة من منظومة قيم أبعد ما تكون حافظة لأنوثتها وحامية لإنسانيتها! أم أن المهم الاحتفال بيوم للتذكير بالمرأة ونسائها أو نغض الطرف عن حقوقها باقي الأيام، ما لكم كيف تحكمون.

نعود لكتاب "الضحك"، فإذا كانت غاية الكتاب إثبات أن للضحك والهزل وظيفة اجتماعية ما، وأنه "شيء من التآمر/ التواطؤ الخفيف، وشيء من الاعتدائية الخاصة على الحياة الاجتماعية"؛ فربما يحق لنا القول في هذا المعنى إننا حتى بهزلنا لا نهزل على طريقة الهزل البرغسوني، أي لا نسمو بهزلنا نحو مجتمعنا تأثراً وانعكاساً، فالمجتمع لا يردّ على ذلك الهزل "بحركة تبدو وكأنها رد فعل دفاعية تخيف قليلاً، حتى ولو بدا أن المجتمع مجبر على التظاهر". بل لا يعدو هزلنا إلا لهو الأحاديث وخوض في المجالس ولعبها. وربما مواقع التواصل الاجتماعي وما يُتداول فيها للقضايا المصيرية في أمتنا خير انعكاس لهذا



الهزل في ميزان الإسلام:

في ميزان الإسلام هناك تلازم بين الكذب والهزل. الهزل فيه نوع من تزييف الحقيقة والتمادي في التخيل حدّ الكذب، وكل كاذب هازل، "إن شر الروايا روايا الكذب، ولا يصلح من الكذب جد ولا هزل..."، كما جاء في رواية عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المزاح والدعابة واللغو لا تكون إلا بالحق والجد اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. عن أبي هريرة قال: قالوا: "يا رسول الله إنك تداعبنا"، قال: "إني لا أقول إلا حقاً" (سنن الترمذي 1990 وأحمد 8366). وأمة لا تتحرى الصدق والجد في كلامها وأفعالها ومواقفها وإن كان في سياق اللغو، لن تخرج من دائرة الهزل.

في القرآن المجيد قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: 17-11]، انظر أين أتى سياق آية وصف القرآن "وما هو بالهزل"، بعد قسم بالسماء والأرض.

القرآن الحكيم كله جدٌ وحق. وخلق الكون لم يكن بالعبث ولا باللغو {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا

اللهو. وإن شئتُم القول هي تخايل كاذبة منافقة؛ كالمشعوز تماماً الذي يتحايل بحركات هُزَيْلى، كلها هَزْلٌ في هزل لا جدّ فيها ولا انعكاس سمو، وتنتهي بانقضاء العرض وذهاب الموقف. وللرافعي عبارة بليغة تصف الهزل الممارس اجتماعياً وسياسياً في مجتمعاتنا، فهو: "الذي يمارسه اليوم أغلبنا في تهوين كل ما هو صعب بأن نختصر هذا الصعب، فإذا هزؤوا بالعدو في كلمة فكأنما هزموه في معركة... فاللهو واللعب والهزل قد خفّ بنا حتى ثقلت علينا حياة الجد".

من صور الهزل المقيتة احتفال قادة العالم "الكبار" سنوياً بانتهاء الحرب العالمية ونارها ما تزال مشتعلة في بلادنا، بلادنا التي لا زالت منذ انتهاء حروبهم على أراضيهم في خضم حروبهم الاستعمارية والاحتلالية بالأصل وبالوكالة على أرضنا وعواصف التمرد والتفرق والتجهيل لم تستثن نفساً ولا حجراً بسببها

سُئل رجل لماذا لا يبكي عند سماع موعظة يبكي فيها الناس؟ فقال: "لستُ من هذه الأبرشية". لا بد أن نكون من الأبرشية نفسها حتى تتألم المجتمعات الأخرى على هزل مجتمعاتنا!



كانه خالد مخلد، فهو إنسان هازل بامتياز. {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: 1-2].

فحمل الرسالة التي أوكّلها الله سبحانه للإنسان في هذا الكون وأبث السماوات والأرض والجمال حملها، لا يمكن حملها باللهو والهزل والتراخي والفتور، بل بالجدية في حفظ الأمانات وأدائها على تمامها سواء في حق الله أم في حقوق العباد، {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون: 8].

نحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى، إلى قتل الهزل لنحيي العزة والصرامة فينا ونبعث الجد والاجتهاد في أمور حياتنا، وعلى قدر عظمة هذا الكون المخلوق على قدر عظم وظيفة الإنسان؛ القادر وحده على حمل هذه الرسالة الجادة ومن كان من أولي الأبواب/العقلاء الذين يأخذون الوجود على محمل الجد والحكمة والرشد. نحتاج إلى قلوب حيّة يقظة لا تتسرب الغفلة والتغافل إليها، تستشعر كل لحظة نفوذ الشيطان وتزيينه الذي أقسم على غواية البشر أجمعين {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} [ص: 82-83]. فالغفلة واللعب صفة الكافرين {الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} [الطور: 12]. ما عند الله جد واجتهاد وعمل وما الحياة الدنيا وما فيها إلا لعب ولهو للخائضين الهازلين.

قال تعالى: {قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: 140]. "آيات الله" في الآية الكريمة تشمل كل ما يتجلى في الكون والأنفس التي يكفر بها المنافقون والمستهزئون، ويعملون على صرفها عن جوهر وجودها وقوامها في إقامة دين الله وتوجيهه لا شريك له سواء أكان الشريك نفوذاً سياسياً وسلطوياً أم كان مالاً حراماً واغتصاباً لحقوق المستضعفين في جنوب الأرض وأقاصيها، أم كان تفريطاً وتهزيراً في إعمار الأرض على أسس العدل والكرامة.

١١ كيف نحتفل بيوم المرأة وهي لا زالت تُستخدم أداة للحرب ٢٢

بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 16-17]، السماء والأرض وما بينهما خلقهم الله تعالى علي حق وجد لا على باطل وهزل {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} [ص: 27].

وكذا في خلق الإنسان لا هزل فيه ولا لهو، قال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: 4]. الكبد مصطلح لم يرد في القرآن سوى مرة واحدة، ومن بين الروايات عن معنى هذه الآية أن الإنسان "يكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء، لأنه لا يخلو من أحدهما، ويكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة"، وهو ما اختاره ابن جرير الطبري أي: لقد خلقنا ابن آدم في شدة ونصب وعناء من مكابدة الدنيا.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: 6]، أي أيها الإنسان أنك جاهد جهاداً شديداً في عملك إلى لقاء ربك يوم الحساب، والكدح فيه من المشقة والتعب والنصب ما يعبر عن ماهية الحياة الدنيا التي كلّفنا للسعي فيها حتى نقيم دين القيمة ليس إلا.

المؤمن هو الذي يعيش في حذر ويقظة من أن يحمّد عن جادة الحق، أما الذي يعيش حياة غفلة وتغافل يملأه الغرور والاعتداد بنفسه وطول الأمل



كيف تعيد شبكات التواصل الاجتماعي تشكيل المجتمع العربي؟

الدكتور سعود كاتب

أستاذ مساعد في كلية الإعلام، جامعة الملك عبد العزيز،
وكيل وزارة الخارجية لشؤون الدبلوماسية العامة سابقاً



الأولى من عام 2011 وكتانت نقطة تحول فارقة غيرت هذه النظرة جذرياً. فلم تقتصر أحداث الربيع العربي على تصدّر عناوين الأخبار العالمية، بل أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن منصات التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب، أصبحت فاعلاً مؤثراً في التحولات العميقة التي شهدتها المنطقة. وخلال فترة وجيزة، سارعت الحكومات والمؤسسات

■ حتى وقت قريب نسبياً، كان يُنظر إلى شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي على أنها مجرد موضة عابرة؛ شيء يلجأ إليه الشباب لتمضية الوقت، أو أسوأ كمصدر قلق للسياسيين والمجتمع. فقد تعاملت الحكومات معها بريبة وحذر، واستهانت المؤسسات الاقتصادية بقدرتها وتأثيرها، بينما تجاهلت الأوساط التعليمية إلى حد كبير الإمكانيات التي تتيحها. ثم جاءت الأشهر

١١ يُفترض بالحكومات العربية أن تنظر إلى شبكات التواصل الاجتماعي بوصفها فرصاً للتطوير لا تهديدات

التجارية إلى محاولة فهم طبيعة هذه المنصات واستيعاب تأثيرها المتزايد. غير أن البعد السياسي، على أهميته وما أثاره من اهتمام، لا يمثل سوى جانب واحد من قصة أكبر بكثير؛ إذ باتت شبكات التواصل الاجتماعي اليوم تؤثر في مجالات التجارة والتعليم والخدمات الاجتماعية، بل حتى في الخطاب الديني، وتسهم بصورة متزايدة في إعادة تشكيل ملامح المجتمعات العربية.

ثورة جديدة في عالم الاتصال

يمثل صعود الإعلام الجديد -القائم على المنصات الرقمية التي تجمع بين التفاعلية والانتشار العالمي وانخفاض التكلفة- الثورة الرابعة الكبرى في تاريخ وسائل الإعلام الحديثة، بعد ظهور المطبعة البخارية السريعة عام 1833، ثم الإذاعة عام 1920، فالتلفزيون عام 1939. وما يميز هذه المرحلة الجديدة هو الانتقال إلى ما يمكن وصفه بـ"ما بعد التفاعلية". ففي الماضي كان الجمهور متلقياً سلبياً لمحتوى أحادي الاتجاه تبثه الصحف والإذاعات والقنوات التلفزيونية، أما اليوم فقد أصبح بإمكان أي فرد عادي أن يوجه رسالته إلى العالم بأسره بتكلفة تكاد لا تذكر.

وقد أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي، التي يزيد عددها اليوم على أربع مائة منصة حول العالم، في تحويل الإنترنت من مجرد مكتبة رقمية ضخمة إلى ما يشبه قرية إلكترونية نابضة بالحياة والتفاعل. ففيسبوك، الذي أسسه عام 2004 الطالب الشاب مارك زوكربيرغ في غرفته الجامعية

بجامعة هارفرد، تجاوز عدد مستخدميه 880 مليون إنسان حول العالم، أي ما يعادل شخصاً واحداً من كل ثلاثة عشر شخصاً على سطح الأرض. أما منصة إكس (تويتر)، الذي أطلق عام 2006، فقد اقترب عدد مستخدميه من مئتي مليون مستخدم، مولداً نحو 140 مليون تغريدة يومياً.

ورغم أن هذه الأرقام تبدو مذهلة، إلا أنها لا تكشف سوى جانب من التحول الأعظم الذي أحدثته هذه المنصات. فالتغيير لم يقتصر على الكيفية التي نتواصل بها، بل شمل أيضاً هوية الأطراف القادرة على التواصل والتأثير. فقد تراجعت الهيمنة التقليدية لحراس البوابة الإعلامية، من محررين وناشرين ورقباء حكوميين، وفقدوا احتكارهم للتحكم في تدفق المعلومات. وهكذا أصبح الفضاء العام الرقمي، بما يحمله من فرص ومخاطر، مفتوحاً أمام الجميع للمشاركة والتعبير والتأثير.

العالم العربي يدخل عصر الاتصال الرقمي

دخلت المنطقة العربية عصر الإنترنت متأخرة مقارنةً بالعديد من مناطق العالم الأخرى. كانت الكويت أول دولة عربية تدخل خدمة الإنترنت عام 1992، تبعها مصر والإمارات العربية المتحدة عام 1993، في حين لم تفتح السعودية المجال أمام استخدامها على نطاق واسع إلا عام 1998. هذا التأخر لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما اندفع المستخدمون العرب للحاق بالثورة الرقمية، بل حققوا معدلات نمو استثنائية خلال فترة وجيزة. فبين عامي 2000 و2010 ارتفع عدد مستخدمي الإنترنت في الشرق الأوسط بنسبة بلغت نحو 1987 %، وهي من أعلى معدلات النمو في العالم. كما أصبحت العربية سابع أكثر اللغات استخداماً على شبكة الإنترنت، مع أكثر من 65 مليون مستخدم، بعد أن سجل حضورها الرقمي نمواً تجاوز 2500 % خلال عقد واحد فقط.

وبحلول ربيع عام 2011 تجاوز عدد مستخدمي فيسبوك في العالم العربي 27.7 مليون مستخدم.

وكان الشباب، الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و29 عاماً ويشكلون ما يقارب ثلث سكان المنطقة، المحرك الرئيسي لهذا التوسع المتسارع. وتكشف بيانات الاستخدام عن ظاهرة لافتة تتمثل في التفاوت بين الجنسين؛ ففي حين تميل النساء عالمياً إلى استخدام فيسبوك بمعدلات تفوق الرجال، كان المستخدمون في العالم العربي آنذاك يتوزعون بمعدل رجلين مقابل امرأة واحدة. ويعكس هذا التفاوت جملة من البنى الاجتماعية والثقافية السائدة، وإن كانت هذه المنصات نفسها تسهم تدريجياً في إعادة تشكيل بعضها.

أما منصة تويتر فقد وجدت هي الأخرى جمهوراً واسعاً ومتفاعلاً في المنطقة العربية. فبحلول مارس/آذار 2011 بلغ عدد مستخدميها العرب نحو 6.6 ملايين مستخدم. وسجلت قطر أعلى نسبة انتشار قياساً إلى عدد السكان، حيث بلغت 8.46 %، تلتها البحرين بنسبة 7.53 %. وفي الربع الأول من عام 2011 وحده نشر المستخدمون العرب النشاط ما يقرب من 23 مليون تغريدة، في مؤشر واضح على تنامي حضور الفضاء الرقمي بوصفه ساحة جديدة للتواصل وتبادل الآراء والمشاركة في النقاشات العامة.

ما وراء العناوين: التحول السياسي

لن نكون دقيقين إن قلنا إن فيسبوك وتويتر كانا السبب المباشر في اندلاع الثورات العربية. فالأسباب الحقيقية كانت أعمق بكثير: عقود من الاستبداد وارتفاع معدلات البطالة بين الشباب واستفحال الفساد في مؤسسات الدولة. لكن من غير الدقيق أيضاً التقليل من أهمية الدور الذي أدته هذه الشبكات. وكما عبّر أحد المشاركين في احتجاجات القاهرة آنذاك: "نستخدم فيسبوك لتنظيم المظاهرات وتحديد مواعيدها، وتويتر للتنسيق، ويوتيوب لإبلاغ العالم بما يجري".

لقد أتاحت هذه المنصات ثلاث وظائف رئيسية لم تكن وسائل الإعلام التقليدية قادرة على توفيرها بالفاعلية نفسها. أولاً، مكّنت الناشطين من تجاوز

وسائل الإعلام الخاضعة لسيطرة الدولة والوصول مباشرة إلى الجمهور. ثانياً، وفرت أدوات للتنسيق والتنظيم سمحت بحشد أعداد كبيرة من المحتجين من دون الحاجة إلى قيادة مركزية يسهل على الأجهزة الأمنية استهدافها أو تعطيلها. وثالثاً، أتاحت نقل صور العنف والانتهاكات إلى الرأي العام العالمي بصورة فورية، ما ساهم في خلق ضغوط سياسية ودبلوماسية لم تستطع الأنظمة تجاهلها بالكامل.

بدأت نتائج هذه التحولات واضحة عام 2011. ففي غضون ثمانية أشهر فقط، سقط ثلاثة رؤساء حكموا بلدانهم بما مجموعه خمسة وتسعون عاماً: زين العابدين بن علي في تونس بعد ثلاثة وعشرين عاماً في السلطة، وحسني مبارك في مصر بعد ثلاثين عاماً، ومعمر القذافي في ليبيا بعد اثنين وأربعين عاماً من الحكم. كما واجهت الأنظمة في سوريا واليمن ثورات شعبية انتهت بسقوط نظام الأسد بعد سنوات من الصراع.

غير أن الدرس السياسي الأهم لا يكمن في أن وسائل التواصل الاجتماعي قادرة على إسقاط الحكومات فحسب. فالدول الغربية تنظر إلى هذه الأدوات من زاوية مختلفة وأكثر اتساعاً. استخدمت وزارة الخارجية الأميركية منصة تويتر لمواجهة الشائعات والمعلومات التي قد تهدد أمن بعثاتها الدبلوماسية في الخارج. كما وصفت إسرائيل شبكات التواصل الاجتماعي بأنها "أدوات لا غنى عنها في الحروب الحديثة"، واستخدمتها لمراقبة النشاط السياسي والتأثير في الخطاب الإعلامي والدبلوماسي. أما الحملة الانتخابية للرئيس الأميركي باراك أوباما عام 2008 فقد نجحت في استقطاب نحو 6.5 ملايين مؤيد على فيسبوك و1.7 مليون متابع على تويتر، وأكد القائمون عليها أن هذه المنصات لعبت دوراً مهماً في نجاح الحملة ووصوله إلى البيت الأبيض.

في المقابل، اتسمت استجابة كثير من الحكومات العربية بالحذر والقلق، بل وبمحاولات المنع

📌 الكويت أول دولة عربية تُدخل خدمة الإنترنت عام 1992 📌

والرقابة. فقد لجأت بعض الدول إلى حجب مواقع التواصل الاجتماعي أو تقييد استخدامها، ووصل الأمر أحياناً إلى قطع خدمات الإنترنت بالكامل. غير أن التجربة أثبتت أن الإجراءات التقنية وحدها لا تكفي للسيطرة على فضاء رقمي متغير باستمرار، وأن المستخدمين غالباً ما يجدون وسائل بديلة لتجاوز القيود المفروضة عليهم عندما تتوافر لديهم الإرادة والوسائل اللازمة لذلك.

الثورة الهادئة: التجارة والتعليم

بعيداً عن العناوين السياسية الصاخبة والتحولت التي استحوذت على اهتمام وسائل الإعلام، تشهد التجارة والتعليم في العالم العربي ثورة هادئة تقودها شبكات التواصل الاجتماعي، وإن كانت تحظى باهتمام أقل بكثير من التحولات السياسية

فعلى المستوى العالمي، تضخ الشركات مليارات الدولارات في التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وتعود جاذبية هذه الوسائل إلى ما توفره من مزايا متعددة، من بينها الوصول إلى شرائح جديدة من العملاء، وتعزيز صورة العلامة التجارية، وزيادة المبيعات المباشرة، فضلاً عن انخفاض تكلفتها مقارنة بوسائل الإعلان التقليدية. وقد طورت شركات كبرى مثل ديل وإي بي إم وإيكيا وفورد استراتيجيات متقدمة للتواصل الرقمي أسهمت في تحقيق عوائد مالية كبيرة، إلى جانب توفير خدمات دعم العملاء والتفاعل معهم بصورة فورية.

أما في العالم العربي، فتبدو الصورة أكثر تعقيداً. ورغم النمو السريع في أعداد مستخدمي الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي، ظلت استثمارات

الشركات العربية في هذا المجال محدودة نسبياً. فقد بلغ حجم الإنفاق على الإعلانات الإلكترونية في دول الخليج نحو 170 مليون دولار فقط عام 2011، وهو ما لم يتجاوز 9% من إجمالي سوق الإعلانات. كما بلغ متوسط الإنفاق السنوي على الإعلانات الإلكترونية للفرد نحو 22 دولاراً فقط، مقارنة بنحو 462 دولاراً في أمريكا الشمالية. ولا تعكس هذه الفجوة اختلافاً في مستويات الإنفاق فحسب، بل تشير أيضاً إلى فرص اقتصادية وتسويقية لم تُستثمر بعد بالشكل الكافي.

ومع ذلك، أدركت بعض الشركات العربية أهمية الحضور الفعال على شبكات التواصل الاجتماعي. فقد طورت شركة الاتصالات السعودية حضوراً نشطاً على منصة تويتر، حيث يتفاعل مسؤولوها مباشرة مع شكاوى العملاء واستفساراتهم، ويعملون على معالجة المشكلات في وقت قصير. كما اتبعت موبايلي نهجاً مشابهاً في التواصل مع الجمهور.

في المقابل، قدمت فودافون مصر مثلاً على الوجه الآخر لقوة وسائل التواصل الاجتماعي. فبعد تعرضها لانتقادات خلال أحداث الثورة المصرية واتهامها بالمساهمة في قطع الاتصالات، أطلق ناشطون حملات واسعة عبر تويتر أثرت سلباً في صورة الشركة وسمعتها، ما أبرز قدرة هذه المنصات على التأثير في الرأي العام وفي مكانة المؤسسات التجارية.

أما الخطوط الجوية السعودية فقد مثلت نموذجاً مختلفاً؛ إذ اتسم حضورها على تويتر وفيسبوك لفترة طويلة بضعف التفاعل، في الوقت الذي نشطت فيه صفحات غير رسمية أنشأها موظفون أو مسافرون غير راضين عن مستوى الخدمات، وتحولت إلى منابر لعرض الشكاوى المتعلقة بتأخر الرحلات أو جودة الخدمة. ويبرز هنا التباين الكبير بينها وبين شركات عالمية مثل الخطوط الجوية البريطانية التي جعلت من منصات التواصل الاجتماعي أداة أساسية للتفاعل مع

العملاء والاستجابة لملاحظاتهم بصورة مستمرة.

لا يقتصر تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على المجال التجاري فحسب، بل يمتد أيضاً إلى قطاع التعليم، حيث أتاحت هذه المنصات فرصاً جديدة لتبادل المعرفة والوصول إلى مصادر التعلم والتواصل بين الطلاب والمعلمين خارج حدود الصفوف الدراسية التقليدية، الأمر الذي يجعلها أحد أبرز ملامح التحول الرقمي الذي تشهده المجتمعات العربية في القرن الحادي والعشرين.

البعد الإنساني: الخدمات الاجتماعية والعمل الخيري

لقد أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي اليوم أداة أساسية تعتمد عليها المنظمات غير الربحية في مختلف أنحاء العالم للوصول إلى المتبرعين والمستفيدين على حد سواء. فمؤسسات أمнести ومنظمة الإغاثة الإسلامية تمتلك حضوراً نشطاً على منصات فيسبوك وتويتر ويوتيوب، وتستخدم هذه القنوات ليس فقط للتواصل، بل أيضاً لتعبئة الدعم وبناء الوعي العام بقضاياها. وتشير دراسة تناولت كبرى المؤسسات الخيرية في الولايات المتحدة إلى أن نحو 89 % منها تستخدم شكلاً من أشكال الإعلام الاجتماعي، مع تركيز أساسي على جمع التبرعات وتعزيز الوعي بالعلامة المؤسسية.

أما في العالم العربي، فالصورة لا تزال متباينة إلى حد كبير. رغم بداية بعض التجارب الفردية، لا تزال العديد من المؤسسات الخيرية تعمل ضمن نماذج تقليدية محدودة التفاعل، ولا تمتلك حضوراً رقمياً منسقاً وفعالاً على منصات التواصل الاجتماعي. بل إن البحث عن أسماء بعضها على تويتر يكشف عن صفحة فرعية واحدة فقط بعدد محدود من المتابعين ومنشورات لا تتجاوز بضعة تدوينات.

ويمثل هذا الواقع فرصة مهدورة أكثر منه

مجرد قصور تقني. فشبكات التواصل الاجتماعي تتيح للمؤسسات الخيرية إمكانية سرد قصصها الإنسانية بشكل مباشر وتعزيز الشفافية أمام الجمهور، وبناء الثقة مع المتبرعين الذين أصبحوا أكثر حساسية تجاه قضايا المصداقية، خصوصاً في مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول. كما تتيح هذه المنصات تنسيق العمل التطوعي في الوقت الحقيقي، والاستجابة السريعة لحالات الطوارئ والكوارث، بما يعزز من كفاءة العمل الإنساني وقدرته على الوصول إلى الفئات الأكثر حاجة.

الطريق إلى الأمام

لقد أعادت شبكات التواصل الاجتماعي تشكيل بنية الاتصال في المجتمعات العربية بصورة عميقة، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي. وبدأت الحكومات والمؤسسات في العالم العربي، وإن بدرجات متفاوتة، التعامل بجدية مع هذه المنصات (خاصة بعد الصدمة التي أحدثتها أحداث عام 2011)، غير أن مستوى توظيفها لا يزال أقل بكثير من الإمكانيات المتاحة.

ويُفترض بالحكومات العربية أن تنظر إلى شبكات التواصل الاجتماعي بوصفها فرصاً للتطوير لا تهديدات ينبغي الحد منها، وأن توظفها كأدوات لتعزيز الشفافية وتوسيع المشاركة المجتمعية وتحسين جودة الخدمات العامة. كما ينبغي للمؤسسات الاقتصادية دمج هذه المنصات ضمن استراتيجياتها التسويقية الأساسية، لا اعتبارها أدوات ثانوية، بل كمكوّن جوهري في بناء العلاقة مع المستهلكين وتعزيز حضورها في السوق. أما المؤسسات التعليمية، فمدعوة إلى استثمار هذه الوسائل في دعم التعلم التفاعلي والتعاوني، بما يهيئ الطلاب لمتطلبات العصر الرقمي. في حين يُفترض بالمنظمات غير الربحية أن تعتمد على هذه الشبكات لتعزيز الثقة مع الجمهور، وتوسيع قاعدة التبرعات، وتحسين قدرتها على خدمة الفئات المستهدفة بكفاءة أكبر.



من وعد بلفور إلى اتفاقيات أبراهام:

المسار الأمريكي في حماية المشروع الصهيوني ومحاصرة نهضة الأمة

■ لم يكن الدعم الأمريكي لدولة إسرائيل يوماً ما وليد لحظة أو متعلقاً بإدارة رئيس بعينه، بل هو حلقة في مسار استراتيجي طويل، بدأت ملامحه منذ ليلة اغتصاب فلسطين وتحولها من أرض عربية إسلامية إلى كيان استعماري مفروض ثم إلى موضوع تفاوض دولي ثم إلى مركز متقدم للهيمنة الغربية في قلب العالم الإسلامي.

ومن المهم لقراءة جذور العلاقة من ضبط بعض الوقائع: فالدعم الأمريكي للصهيونية سبق قيام إسرائيل، لكن الاعتراف الرسمي بإسرائيل لم يكن من روزفلت بل من الرئيس هاري ترومان يوم 14 مايو 1948، بعد إعلان قيامها مباشرة. أما العلاقة الدفاعية المنظمة بين أمريكا وإسرائيل فقد بدأت تتصاعد لاحقاً، خصوصاً منذ خمسينيات القرن العشرين، ثم تحولت بعد 1967 إلى شراكة استراتيجية شبه كاملة.

منذ البداية، لم تكن فلسطين وحدها هي الهدف،



محمد أبو عجور
ناشر ومفكر إسلامي

بل كانت الأمة بأسرها هي المجال المستهدف. فالمشروع الأمريكي في المنطقة قام على ثلاث ركائز: حماية إسرائيل، منع قيام قوة إسلامية أو عربية مستقلة، وربط ثروات المنطقة ونفطها وأمنها وقرارها بالمنظومة الأمريكية.

بعد وعد بلفور ثم قيام إسرائيل، بدأت أمريكا ترث الدور البريطاني والفرنسي في المنطقة. ومع



٥٥ منع قيام قوة إسلامية من أهداف زرع إسرائيل في المنطقة ٥٥

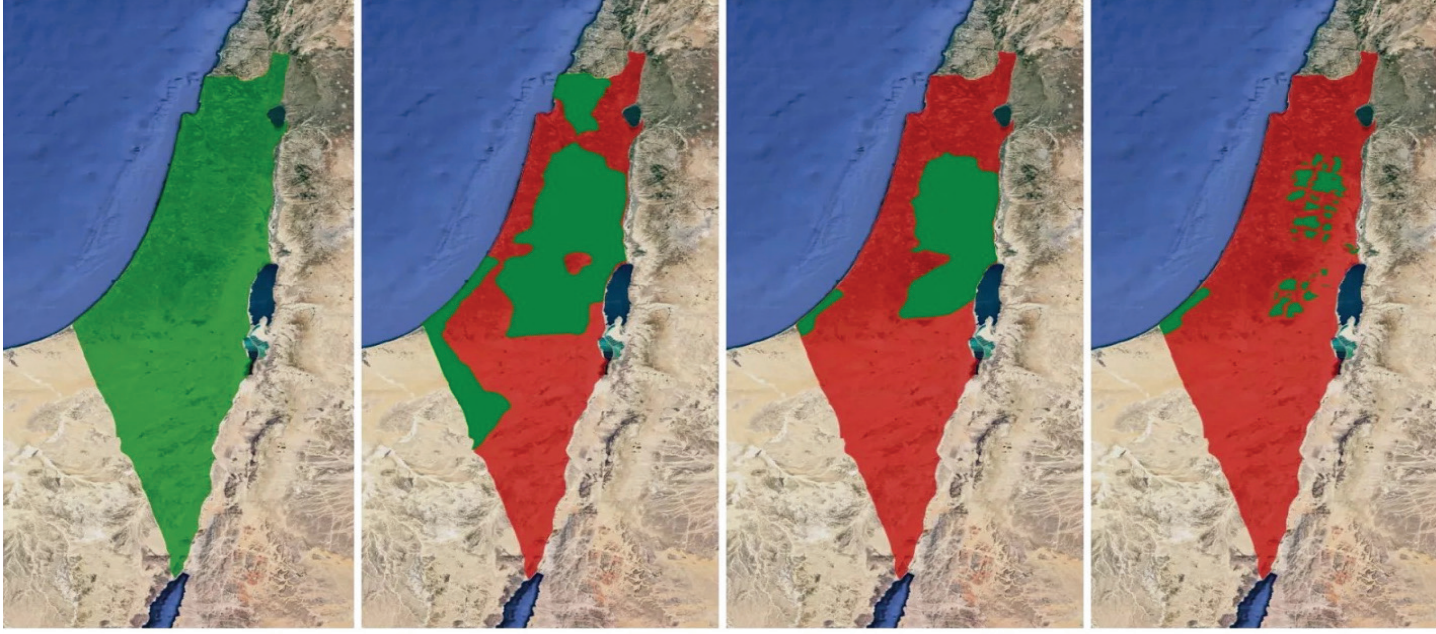
إدارة كارتر الدور المركزي في اتفاقات كامب ديفيد
عام 1978 ثم معاهدة السلام عام 1979.

وراء الكواليس، كانت أمريكا تعيد بناء النظام العالمي
حول الدولار والطاقة. فقد تشكلت بعد صدمة النفط
في السبعينيات علاقات مالية ونفطية جعلت عائدات
النفط مرتبطة بالدولار وبالنظام المالي الأمريكي،
فيما عُرف لاحقًا بمنظومة "البترو دولار"، وإن كان
توصيفها يحتاج دقة لأنها ليست اتفاقًا واحدًا بسيطًا
بل شبكة مصالح وترتيبات مالية وسياسية.

الحرب الباردة جرى تسويق الهيمنة الأمريكية
تحت عنوان "مواجهة الشيوعية"، فظهرت مشاريع
مثل حلف بغداد، ثم مبدأ أيزنهاور عام 1957
الذي سمح للولايات المتحدة بالتدخل في الشرق
الأوسط بذريعة مواجهة "الشيوعية الدولية" وحماية
المصالح الغربية.

ثم جاءت هزيمة 1967 لتكون نقطة تحول كبرى؛
فبعدها أصبحت إسرائيل ذراعًا استراتيجية أمريكية
في المنطقة، لا مجرد دولة حليفة. ومنذ السبعينيات
بدأت المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل
تتخذ طابعًا ثابتًا ومتزايدًا، حتى صارت إسرائيل من
أكبر متلقي الدعم العسكري الأمريكي تاريخيًا.

ثم جاء مسار كامب ديفيد والصلح المصري
الإسرائيلي، برعاية أمريكية مباشرة، ليخرج أكبر
دولة عربية من معادلة الصراع العسكري مع
إسرائيل، ويفتح الباب أمام تحويل الصراع من
قضية أمة إلى ملفات تفاوض منفصلة. وقد لعبت



غاصب إلى مركز اقتصادي وأمني وسياسي، ثم إلزام الدول العربية والإسلامية بالتطبيع معها، حتى في ظل حرب غزة. وقد صرّح ترامب في 25 مايو 2026 بأن أي اتفاق محتمل مع إيران ينبغي أن يقترن بانضمام دول عربية وإسلامية أوسع إلى اتفاقيات أبراهام.

فالقصة إذن ليست إيران وحدها، ولا روسيا وحدها ولا الصين وحدها ولا الإرهاب وحده. القصة هي الأمة: موقعها وثروتها وهويتها وفلسطينها وقدرتها على امتلاك قرارها. والقصة هي إسرائيل الكبرى، لا بمعنى الحدود الجغرافية فقط، بل بمعنى الهيمنة السياسية والأمنية والاقتصادية على المنطقة.

ولهذا لا يكفي أن نلعن المؤامرة، ولا أن نكتفي بالغضب ولا أن ننتظر تغيير الإدارة الأمريكية. المطلوب مشروع إسلامي حضاري جامع بيني الوعي ويحرر الإرادة ويعيد ترتيب القوة ويصنع الاقتصاد ويؤسس الإعلام ويفتح طريق الوحدة، ويجعل فلسطين مركز البوصلة لا ملفاً هامشياً.

فأمريكا لم تتحرك يوماً في منطقتنا كجمعية خيرية، بل كإمبراطورية تبحث عن مصالحها. وإسرائيل لم تكن يوماً دولة طبيعية تبحث عن سلام، بل مشروعاً وظيفياً لحراسة التفوق الغربي ومنع نهوض الأمة.

ومن لم يفهم هذا المسار من وعد بلفور إلى اتفاقيات أبراهام، سيظل يقرأ الأحداث متفرقة، بينما العدو يكتبها في خطة واحدة.

🔴🔴 القصة ليست إيران وحدها، ولا روسيا وحدها ولا الصين وحدها ولا الإرهاب وحده. القصة هي الأمة 🌍

ثم دخلت المنطقة مرحلة الحروب الكبرى: أفغانستان، الحرب العراقية الإيرانية، غزو العراق، الحرب على الإرهاب، تفكيك الدول، صناعة الفوضى، توظيف الطائفية، وإعادة رسم خرائط النفوذ. وفي كل مرحلة كان العنوان يتغير: مرة مواجهة الشيوعية، وأخرى حماية النفط، وتارة مكافحة الإرهاب، ومرة منع الانتشار النووي، وتارة حماية الأقليات؛ لكن النتيجة واحدة: إضعاف الأمة وإنهاك دولها ثم حماية إسرائيل ومنع أي مشروع استقلال حضاري.

ثم جاء الربيع العربي، وأصاب عواصم القرار في العالم الغربي وفي إسرائيل الهلع من فكرة أن تستعيد الشعوب إرادتها في تقرير مصيرها. لذلك لم يكن غريباً أن تقوم باحتواء الثورات وأن تدعم الثورات المضادة، وأن تسعى لإعادة هندسة المشهد حتى لا تخرج المنطقة من التبعية إلى الحرية.

واليوم تتكرر الحلقة ذاتها مع اتفاقيات أبراهام. فالمطلوب ليس مجرد سلام بين دول، بل دمج إسرائيل في جسد المنطقة، وتحويلها من كيان

من يربي أبنائنا في عصر الشاشات؟



بقلم: أسماء مفيد كامل
كاتبة ومترجمة في صحيفة ديلي
صباح وتلفزيون A Haber

من المعروف أن السنوات الأولى من عمر الطفل كانت في السابق تعتمد بشكل أساسي على الأسرة وعلى اللعب، وعلى التفاعل المباشر مع الآخرين. كان الطفل يتعلم من ملامح ووجوه المحيطين به ومن نبرات أصواتهم ومن حركات أجسادهم، ومن التجربة الحية التي يعيشها بنفسه خلال تدرجه في المراحل العمرية. هذه العوامل كلها هي التي تبني الأساس العاطفي والاجتماعي والمعرفي عند الإنسان. لكن هذا كله بدأ يتغير تدريجياً مع دخول

أصبحت التكنولوجيا جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية وباتت دعامة أساسية لا يستغنى عنها في التعليم والعمل والتواصل وحتى في الترفيه. وقد فتحت التكنولوجيا بالفعل إمكانيات كبيرة للوصول إلى المعرفة وتبادل المعلومات ولكن في المقابل، لم يعد هذا الحضور الكثيف للأجهزة الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي مجرد أداة مساعدة فقط، بل أصبح أقرب إلى مساحة موازية يعيش فيها الناس سواء البالغين أو الأطفال، وربما راحت تؤثر على تشكيل وعيهم من خلال التعامل معها بشكل يومي. وهنا يظهر السؤال الذي لا يمكن تجاهله: من يربي أبنائنا في هذا العصر المليء بالشاشات؟ هل هي الأسرة والمدرسة، أم الخوارزميات التي تختار لهم ما يشاهدونه وتدفعهم نحو ما ينجذبون إليه دون أن ينتبهوا؟ ومن يدير تلك الخوارزميات ومن يوجهها؟



الجزء المسؤول عن ضبط النفس واتخاذ القرارات. لذلك نجدهم أكثر عرضة للانفعال وأكثر انجذاباً للمحتوى السريع، خاصة في مرحلة يكون فيها القبول الاجتماعي مهمًا جدًا بالنسبة لهم.

وفي السياق نفسه، نجد أن الطفولة نفسها تغيرت بشكل واضح. فاللعب في الخارج الذي كان جزءًا أساسيًا من النمو الطبيعي لطفل، تراجع كثيرًا وحلت مكانه الساعات الطويلة أمام الشاشات. وبالتدريج، بدأنا نشهد انتقال الطفولة من الاعتماد على اللعب والتجربة المباشرة إلى طفولة مرتبطة أكثر بالهاتف والشاشة. هذا التغيير ليس بسيطًا

💡 اللعب في جوهره ليس مجرد تسلية بل هو طريقة يتعلم بها الطفل كيف يعيش وكيف يتعاون وكيف يختلف

الشاشات إلى حياة أطفالنا، إذ أصبح تفاعلهم أقل حضورًا، وأقل إنسانية ربما، وأكثر اعتمادًا على حاستي البصر والسمع من خلال الصورة والصوت اللذين تقدمهما الشاشات، دون تواصل حقيقي أو حوار متبادل أو إنتاج لغوي عميق ذو معنى كما كان يحدث سابقًا.

مع الوقت، لم يعد أطفالنا مجرد مستخدمين لهذه الأجهزة، بل أصبحوا يعيشون داخل نظام رقمي كامل. فالتطبيقات ومنصات التواصل وحتى الألعاب الإلكترونية، ليست محايدة إطلاقًا بل تعمل وفق خوارزميات هدفها الأساسي إبقاؤهم أطول وقت ممكن أمام الشاشات سواء لغايات تسويقية أو أيديولوجية. ومن هنا ظهر ما يمكن تسميته بـ"المربي الخفي" ألا وهو الخوارزمية التي تختار ما يظهر للطفل وتعيد تشكيل اهتماماته شيئًا فشيئًا، دون أن يشعر هو بذلك أصلًا.

ومن المدهش حقًا أن معظم ما تعرضه الشاشات يعتمد بشكل كبير على آلية في الدماغ مرتبطة بالدوبامين، أي نظام المكافأة. فكل إشعار وكل إعجاب وكل فيديو جديد، وكل مرحلة من مراحل الألعاب الإلكترونية شديدة التحفيز، يعطي شعورًا سريعًا بالمتعة. ومع التكرار، يبدأ الدماغ بالتعود على هذا النوع من المتعة السريعة، ويصبح أقل قدرة على الصبر تجاه أي نشاط يحتاج وقتًا أو تركيزًا، مثل القراءة أو الدراسة أو حتى الحوار العادي الطويل.

هذا التأثير يكون أوضح عند الأطفال والمراهقين لأن قشرة الدماغ لديهم لم تكتمل بعد، خصوصًا

👉 المشكلة تبدأ عندما تتحول التكنولوجيا إلى نظام يوجّه انتباه وسلوك أبنائنا دون وعي 👈

على التنقل المتعجل بين الأشياء. ومع الوقت، يصبح من الصعب عليه أن يبقى مركزاً لفترة طويلة، ويبدأ يشعر بالملل بسرعة أكبر ويصبح عديم الرضا مهما قُدّم له.

لكن الأهم من كل ذلك ربما هو الجانب العاطفي، خصوصاً التعاطف والشعور بالآخرين. فالتعاطف لا يتكوّن عبر الشاشة، بل من خلال التفاعل المباشر مع الناس، مثل رؤية وجوههم وسماع أصواتهم وفهم المواقف المتبادلة بينهم بشكل كامل. أما التواصل الرقمي، فيختصر كل ذلك إلى رموز ورسائل سريعة، لا تنقل المشاعر كما هي في الواقع. ومع هذا النقص المستمر، يضعف الجانب العاطفي والوجداني عند الطفل تدريجياً.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن بوسع الطفل اليوم الوصول بمنتهى السهولة إلى محتويات غير مناسبة، سواء كانت عنفاً أو كراهية أو غير ذلك، من دون رقابة حقيقية في كثير من الأحيان. والأسوأ أن الخوارزميات نفسها تستمر في اقتراح محتوى مشابه، ما يخلق دائرة مغلقة يصعب الخروج منها

وهنا يعود السؤال بشكل أقوى: من الذي يربي أطفال عصر الشاشات فعلاً؟ هل هي الأسرة؟ أم المدرسة؟ أم هذه الخوارزميات التي يقضون معها وقتاً أطول من أي طرف آخر؟

بالرغم من كل ما سبق، تبقى الأسرة هي الأساس. فدور الأهل في مواجهة هذه المشكلة لم يعد مجرد توجيهه فقط، بل أصبح مرافقة يومية، ووضع حدود واضحة لاستخدام الشاشات من حيث زمن



كما يبدو لأنه لا يغير الوسيلة فقط، بل يغير شكل التجربة التربوية نفسها.

فاللعب في جوهره ليس مجرد تسلية بل هو طريقة يتعلم بها الطفل كيف يعيش وكيف يتعاون وكيف يختلف وكيف يحل المشاكل وكيف يضبط انفعالاته. وعندما يُستبدل هذا كله بالتفاعل الرقمي، يخسر الطفل جزءاً مهماً من خبرته الإنسانية ويصبح أكثر عزلة أو أقل قدرة على التفاعل الواقعي مع الآخرين

كذلك، يمتد التأثير السلبي للشاشات ليشمل انتباه الأطفال وتركيزهم. فالمحتوى الرقمي بطبيعته سريع ومتغير باستمرار، وهذا يجعل الطفل معتاداً



مطلقاً، المشكلة تبدأ عندما تتحول التكنولوجيا إلى نظام يوجّه انتباه وسلوك أبنائنا دون وعي ولا تدخلٍ منا.

كما أن تربية الأبناء ليست عملية رقمية بل هي تجربة إنسانية حقيقية، ولا يمكن لأي شاشة أن تحل محلها. فالحظات محادثة بسيطة تجمعنا مع أطفالنا أو لعبة مشتركة أو وجبة عائلية أو أشياء صغيرة دافئة مماثلة هي التي تصنع الطفل فعلياً، أكثر بكثير مما تفعله أية شاشة.

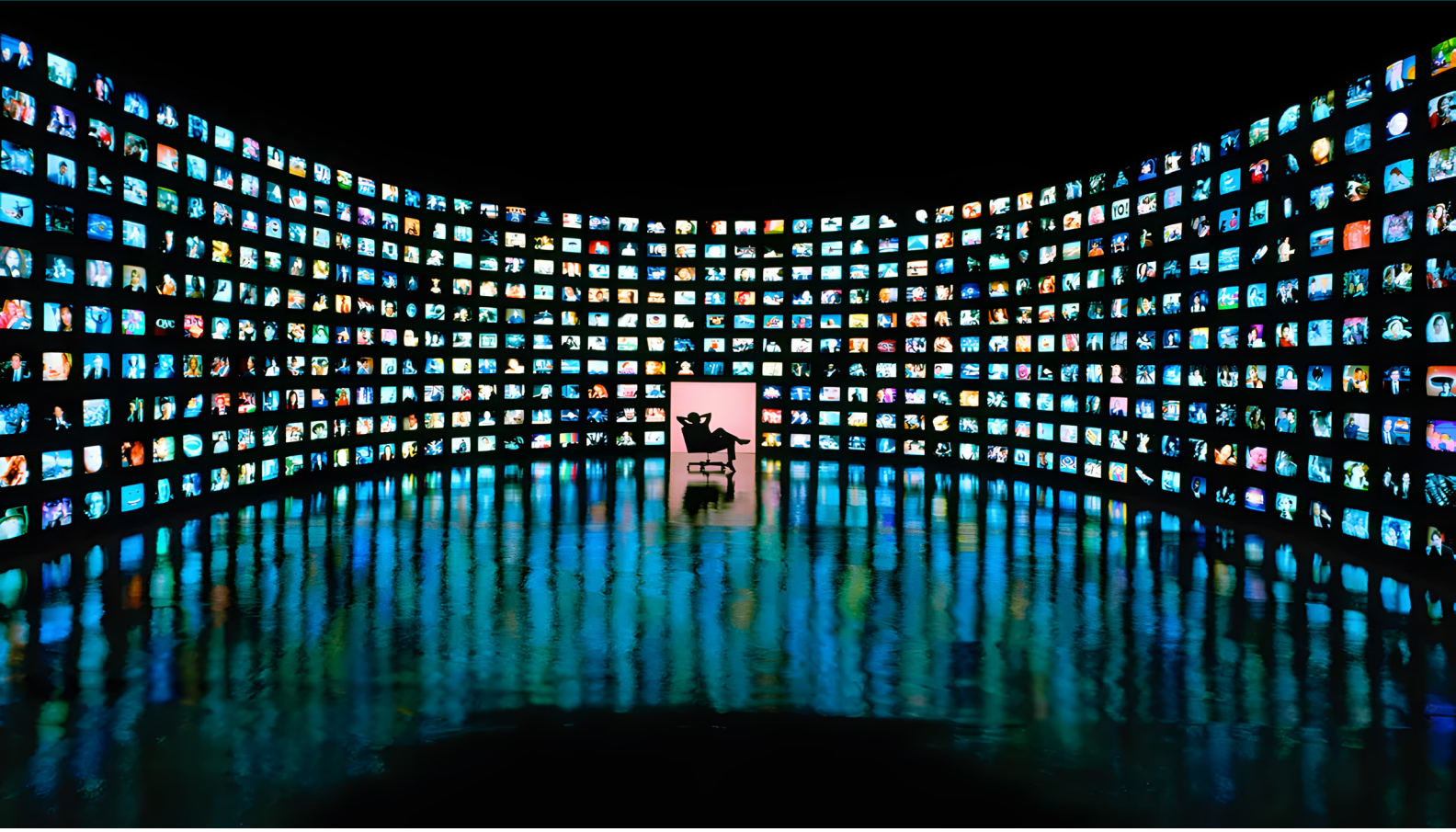
ومن هنا يصبح السؤال "من يربي أبنائنا في عصر الشاشات" سؤالاً عن طبيعة العالم الذي نسمح لأطفالنا أن ينشأوا داخله. فإذا كانت الخوارزميات تربي أبنائنا بصمت، فإن مسؤولية الأسرة والمجتمع وحتى القوانين والتشريعات هي استعادة هذا الدور، ليس بإقصاء التكنولوجيا بل بإعادتها إلى حجمها الطبيعي داخل حياتنا، بحيث تبقى أداة في خدمة أطفالنا لا بدلاً عنها.

الاستخدام أو محتواه، مع تقديم بدائل حقيقية كاللعب والقراءة والرياضة والتواصل داخل البيت مع بقية أفراد الأسرة. لأن الطفل في النهاية لا يترك الشاشة بسهولة إذا لم يجد ما يعوضها في الواقع.

والقدوة أيضاً عنصر لا يمكن تجاهله؛ فالطفل الذي يرى والديه مدمنين على هواتفهم الذكية طوال الوقت، لن يفهم حقيقة لماذا يُطلب منه أن يقلل استخدامها.

وكذلك الأمر في المدرسة، التي يجب أن يكون لها دور مهم في رفع الوعي الرقمي، ليس فقط من ناحية الاستخدام بل من ناحية إيضاح كيف تعمل هذه المنصات؟ وكيف يتم جذب انتباه الطفل للبقاء محددقاً فيها زمناً أطول؟ ولماذا يتأثر بها أصلاً؟ إلى جانب ضرورة تعزيز الأنشطة غير الرقمية مثل الرياضة والفنون والعمل الجماعي.

في النهاية، يجدر بنا الاعتراف أن المشكلة ليست في التكنولوجيا نفسها؛ فهي ليست خيراً مطلقاً ولا شراً



الجدور النظرية للتضليل الرقمي (2)

تفكيك الأدوات وآليات التضليل الرقمي بين الإنتاج والتوزيع والتلقي

■ لم يعد السؤال هل يكذبون علينا؟ بل أصبح كيف يصنعون
كذبهم وكيف يجعلوننا نرغب في تصديقهم؟

من النظرية إلى التفكير

في المقال الأول من هذه السلسلة تناولنا القاعدة النظرية التي تفسر كيف تحول الإعلام من أداة لنقل المعلومات إلى آلية لصناعة المعنى. ورأينا كيف أن التضليل الرقمي هو وريث لنظريات التأثير الإعلامي التقليدية (ترتيب الأولويات، التأطير الإعلامي، الغرس الثقافي) لكنه يمارس اليوم في بيئة

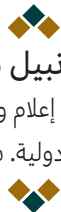
39

Al-Ummah



نبيل سابا

ليسانس إعلام ودبلوم علاقات
دولية. سوريا



عن الحقيقة بل عن البقاء عبر آليات الروبوتات البرمجية والتريندات والموجات الرائجة وصولاً إلى تطبيقات المراسلة المشفرة وغرف الصدى (Echo Chambers) التي تعزل المتلقي في فقاعات فكرية متجانسة.

ثم نصل في نهاية المطاف إلى مرحلة الاستقبال وسؤالها المحوري: كيف ولماذا نصدق التضليل؟

هناك من يصنع التضليل بعناية قبل أن يصل إلى شاشتك. ويميز هذه المرحلة ما يسمى بالتمويه النوعي للمحتوى (Genre Blurring) وهو استراتيجية معروفة في علم الاتصال الحديث. ويقصد به صياغة المعلومة المضللة وتغليفها داخل قوالب غير إخبارية. الهدف من هذه الحيلة الذكية هو تغيير الهوية الظاهرية للمحتوى المضلل لكي يتسلل بسلاسة إلى وعي المتلقي. ويفعلون ذلك بالتخلي عن القوالب الإخبارية الجافة لصالح قوالب بديلة تذوب فيها الحقائق بالخيال، كالإعلام الترفيهي والتسلية والإعلانات المندمجة والمميز الساخرة والدراما الوثائقية الزائفة التي تلعب على أوتار العاطفة.

يعاد في هذه المرحلة تشكيل المعلومة المضللة ودمجها بالفكاهة والمتعة. الهدف من هذا هو التغيير الجوهرى في طبيعة المادة وإزالة الشك لدى المتلقي. فعندما يقترب الجمهور من المادة بداعي التسلية والهروب من ضغط الواقع، تنخفض دفاعاته الفكرية وتتكاثر ملكته النقدية ما يتيح للتضليل المرور بسلام دون أن يشعر المتلقي أنه يتعرض لعملية توجيه ممنهجة، وصانع الكذبة محصن خلف قناع الدعابة والفكاهة.

من هذا المدخل نفهم كيف تعاد صياغة الخبر وتأليفه من جديد وكيف يوظف الإعلان المموه.

يحتوي الإعلام التقليدي أربعة أجناس رئيسية، وكانت تفصل بينها حدود واضحة إلى حد ما:

أولها الخبر وكان حينها منتجاً يخضع لآلية حارس البوابة البشري وكانت المعايير المهنية والسياسات

👉 القصص الكاذبة تنتشر بسرعة
تفوق سرعة انتشار القصص الحقيقية
بنسبة 70 % وتصل إلى جمهور أوسع
بنسبة 30 % 👈

خوارزمية جديدة تفضّل المشاعر على الدقة وصدق المعلومة، وتولي الأهمية القصوى لنقل المعلومة وسرعة انتشارها على حساب التأكد من محتواها.

في هذه المقالة الثانية، سنقوم بتفكيك الأدوات التي يستخدمها التضليل الإعلامي. وسنبداً بمرحلة الإنتاج أي كيف تُصنع المعلومة المضللة بإعادة صياغة الخبر وتأليفه من جديد وكيف يستفاد من الإعلان وتمويهه بشكل مخادع.

لا ينحصر الإنتاج هنا في القوالب الإخبارية الجافة بل يمتد إلى أحسن طروادة الأكثر جاذبية ونعومة كالدراما الوثائقية الزائفة وتأثيرها العاطفي الحاد في تخدير (تحييد) موضوعية المتلقي؛ أو الدمج المتعمد بين الإعلام والترفيه فيما يُعرف بالإعلام الترفيهي (Infotainment). ويتجلى ذلك بوضوح في تحويل السخرية الرقمية والمميز (Memes) من مجرد أدوات للتسلية إلى وحدات ثقافية ومعلوماتية مكثفة بشكل رسائل تمرر عن طريقها الشائعات والأيديولوجيات؛ إذ تتدفق هذه الرسائل إلى وعي المتلقي عبر بوابة التسلية والضحك وهو في حالة من الاسترخاء الذهني والابتهاج، مما يضعه في حالة من التيسير المعرفي (Cognitive Easing) التي تخفض دفاعاته النقدية، فيبتلع الكذبة دون تدقيق؛ فيما صانع التضليل متمترس خلف قناع الفكاهة وبعيداً عن المساءلة.

تليها مرحلة التوزيع، وهي هندسة نشر المعلومات ذات المحتوى المضلل وضمان انتشارها الواسع (الفيروسي). هنا يتم استغلال الترفيه والإثارة وقوداً لتغذية خوارزميات التفاعل التي لا تبحث



التحريرية -رغم تحيزاتها- تصنع وعياً جمعياً مشتركاً وموجهاً لجمهور واسع ومتجانس بشكل عام.

وكان التوجيه والتضليل الإعلامي آنذاك يرتكز على أيديولوجيات واضحة ومكشوفة تهدف إلى إعادة تشكيل الرأي العام عبر أدوات تقليدية مثل ترتيب الأولويات وصياغة الأطر الموحدة للأحداث. وكان ما يميز الخبر تاريخياً وجود هوية واضحة للمرسل مما يتيح للمتلقي فرصة نسبية لتوقع الانحياز ومحاكمته نقدياً، قبل أن يتحول الخبر إلى سلعة رقمية مفرطة في التخصيص والاستحواذ على الانتباه.

توجيه الخبر ليس ظاهرة وليدة العصر الحديث، بل هو سلوك بنيوي لازم الصحافة منذ نشأتها مدفوعاً بالطبيعة البشرية العفوية التي تعيد إنتاج الأحداث وصياغتها من منظورها الخاص انطلاقاً من تحيزاتها النفسية والمعرفية؛ لأن الموضوعية المطلقة في نقل الخبر غاية عصية على التحقيق. ففي النهاية المرسل كائن بشري يترجم الواقع عبر خلفياته الثقافية والاجتماعية والأهداف المرسومة له، مما يجعل التوجيه سياقاً حتمياً وفطرياً لعملية التواصل البشري.

ثانيها، الرأي الذي يتميز عن الخبر بنيوياً بأنه تحليل

فالصانع يعلن بصياغته الدرامية أن عمله ينتمي إلى عالم المحاكاة والتخيل لا إلى عالم الأخبار والوقائع؛ ودور المتلقي أن يستمتع بهذا العمل دون أن يخلطه بالواقع الذي يعيشه.

هذا الاتفاق هو ما جعل الجمهور لعقود طويلة يتلقى الدراما والسينما في مساحة من الأمان المعرفي. كان المشاهد يدرك أنه أمام مساحة للهروب المؤقت والتسلية، وليس أمام نشرة أخبار أو تحقيق استقصائي. فقد كانت هناك حدود واضحة تفصل بين شاشة السينما وشاشة الأخبار وبين سيناريو الكاتب وتقرير الصحفي. مع أن الدراما والسينما التقليدية لم تكن محايدة أبداً، فقد حملت في كثير من الأحيان رسائل سياسية وأخلاقية، وحاولت توجيه الجمهور أو تعزيز قيم معينة سواء بشكل مبطن أو صريح. لكن هذه الرسائل كانت تقدم في قالب فني معلن والمتلقي كان يحتفظ بمسافة نقدية تمكنه من الاستمتاع دون أن يخلط بين الخيال والحقيقة.

كيف يغير التضييل الرقمي هذه القواعد؟

ثم جاء عصر التضييل الرقمي وهدم هذه القواعد وأزال تلك الحدود عمداً؛ فهو لا يصنع الكذبة فقط بل يصمم محتوى يحاكي قوالب الترفيه (التي نثق بها) مثل الدراما المؤثرة والفيديوهات العاطفية والقصص المشوقة ثم يقدمها للمشاهد في قالب يظنه آمناً بينما هو يحمل في داخله أهدافاً تضليلية يحددها المرسل؛ فالخطر ليس في الكذب على الناس، بل في جعلهم يصدقون وهم يستمتعون! وهذا ما يقودنا إلى قلب مرحلة الإنتاج والحيل الأربع الكبرى.

1- الخبر المؤلف (Fabricated News) الذي تُعرض فيه معلومات بين الكذب الصريح ونصف الحقيقة. وتندرج تحته صورتان رئيسيتان في الأدبيات الإعلامية:

الصورة الأولى هي الكذب الصريح المفتعل حيث تُعرض معلومات لا صلة لها بالواقع لكنها تقدم في قوالب تحاكي الأخبار العاجلة أو التقارير الحصرية.

الخطر ليس في الكذب على الناس، بل في جعلهم يصدقون الكذبة وهم يستمتعون

أو تعليق يعلن عن هويته الصريحة ويتحمل كاتبه مسؤوليته الفكرية. وفيه تمنح المساحة كاملة للتعبير عن الانطباعات الشخصية لتفسير الأحداث وتوجيهها. ورغم هذا الفصل النظري والمنهجي بين الخبر والرأي تاريخياً، إلا أن الذاتية البشرية العفوية جعلت الحدود بينهما مرنة؛ إذ غالباً ما يتسلل الرأي والتحيز الشخصي إلى صياغة الأخبار تحت غطاء التوجيه غير المعلن (العصر التقليدي). والرأي محكوم بمسؤولية أدبية وقانونية واضحة للمرسل ما يتيح للقارئ أن يكون واعياً نقدياً يمكنه من محاكمة هذا الرأي وتمييزه عن الواقعة الخبرية المجردة.

ثالثها، الإعلان. ويُعرّف، في عصر ما قبل الخوارزميات، بأنه مساحة تجارية صريحة ومقننة مدفوعة الأجر تفصلها حدود بصرية وهيكلية واضحة عن المادة التحريرية والإخبارية للمؤسسة الإعلامية. هذا الفصل يعلن عن الهوية الربحية للمحتوى إعلاناً مباشراً مما يمنح المتلقي مسافة واعية والوقت لتفعيل الفلتر النقدي والمحاكمة العقلية للمنتج ومصادقته؛ وبذلك، اقتصر دور الإعلان تاريخياً على محاولة الإقناع المكشوفة دون قدرة على التسلل الخفي إلى وعي المستهلك تحت غطاء المادة المعرفية أو الخبرية المستقلة.

وأخيراً الترفيه والاتفاق غير المكتوب، وهو الجنس الإعلامي الرابع من دراما وسينما وأعمال فنية. ما ميز هذا الجنس عبر تاريخه الطويل هو وجود تفاهم غير مكتوب بين من يصنع العمل الفني ومن يتلقاه ويمكن تسمية هذا التفاهم بالاتفاق غير المعلن (Implied Contract) بمضمونه البسيط.

هناك من يصنع التضليل بعناية قبل أن يصل إلى شاشتك

2- الرأي المجرد من سياقه (Opinion Mas-querading as News) في هذه الحيلة يعاد تقديم آراء المعلقين والمحليين في قوالب تحاكي الحياد الصحفي وتعرض باعتبارها تحليلاً موضوعياً أو تقريراً معمقاً بينما يتم إخفاء الذاتية خلف عباءة الموضوعية المزعومة، فيعجز المتلقي عن التمييز بين الوقائع المجردة والتفسير الانتقائي. تتركز هذه الممارسة في البرامج الحوارية والتحليلية التي تُعنى بكشف الحقائق أو الرأي الآخر حيث تستخدم لغة تقريرية تبدو محايدة بينما هي تمارس انتقاء دلائل مضمراً يوجه المتلقي نحو استنتاجات محددة.

3- الإعلان المموه (/ Native Advertising Sponsored Content) هذه الحيلة هي من أكثر الممارسات انتشاراً في البيئة الرقمية المعاصرة وتقوم على تصميم محتوى إعلاني مدفوع الأجر يتخذ شكل التقرير الصحفي أو المقال التحليلي بحيث يستحيل على المتلقي تمييز الرسالة التسويقية عن المادة التحريرية المستقلة. وتزداد خطورة هذه الممارسة حين تنسب المواد الإعلانية إلى جهات تحريرية وهمية أو أقسام متخصصة كفريق الصحة أو قسم الدراسات مما يعزز وهم الموضوعية والاستقلالية لدى القارئ.

4- وأخيراً الدراما الوثائقية الزائفة (Mocku-mentary / Pseudo-documentary) وهي الأكثر تعقيداً من حيث التأثير النفسي إذ تقدم مادة خيالية أو درامية في قالب يحاكي الفيلم الوثائقي الجاد باستخدام أدوات الإقناع البصري والسمعي كاللقطات الأرشيفية والتعليق الصوتي الجاد والموسيقى التصويرية المثيرة. يحدث هذا المزج

يعود نجاح هذه الصيغة -وفق دراسات عديدة- إلى استغلال الكسل المعرفي لدى المتلقي الذي يختصر مسافة التحقق النقدي بمجرد أن يتلقى المعلومة في قالب يبدو موثقاً مألوفاً استناداً إلى ثقته السابقة في المؤسسة الإعلامية أو شكلها.

الصورة الثانية هي الأكثر خطورة في التحليل النقدي وهي ما يعرف بنصف الحقيقة أو الحقيقة منقوصة السياق. في هذه الحالة تكون الوقائع الأساسية للخبر صحيحة، لكنها تنتقى انتقائياً أو تحذف منها عناصر جوهرية أو يعاد تركيبها في سياق مغاير، مما يغير الاستنتاجات التي يمكن أن يستخلصها المتلقي منها. يكمن الخطر الأكبر لهذه الصيغة في صعوبة تنفيذها؛ لأنها لا تحتوي على كذب واضح، بل تمارس عنفاً معرفياً عبر الإغفال والتوجيه الانتقائي للانتباه.

يتخذ نصف الحقيقة ثلاثة أشكال رئيسية في الممارسة التحريرية: (1) الانفصال بين العنوان والمحتوى حيث يصاغ العنوان صياغة مثيرة وتعميمية لا تعكس محتوى النص الفعلي مما يخلق انطباعاً أولياً مضللاً لدى القارئ قد لا يصححه حتى قراءة الخبر كاملاً. (2) انتقاء الحقائق (Cherry-Picking) وهو إبراز مجموعة من الوقائع الصحيحة في سياقها الجزئي مع تجاهل وقائع أخرى تغير عموم الصورة، ليستنتج من ذلك حكم مغاير للحقيقة الأوسع. (3) نزع الاقتباس من سياقه، وهو اقتطاع جزء من تصريح شخصية عامة وإعادة وضعه في سياق جديد يغير معناه، مما يوهم الجمهور بأن الشخصية قد تبنت موقفاً لم تقله أو أنه صدر عنها في سياق آخر مختلف.

هذه الصيغ الثلاث هي الأكثر استخداماً في حملات التضليل المعاصرة، لأنها تستغل ميل المتلقي إلى تصديق ما يتوافق مع تحيزاته وتوقعاته المسبقة وتحتم عليه جهداً نقدياً مضاعفاً لكشف ما أخفي من معلومات أو سياقات. ولا يقف نجاح نصف الحقيقة عند قدرتها على الإقناع، بل هي تجعل المتلقي عاجزاً عن تمييز مواضع الخداع لأنه يواجه معلومات صحيحة وجزئية يبنى عليها استنتاج غير صحيح.

بين الخيال والواقع إرباكاً إدراكياً لدى المتلقي، فيصعب عليه تمييز حدود المحاكاة الفنية عن التوثيق الواقعي مما يجعله أكثر ميلاً لتلقي المادة كحقيقة تاريخية أو سياسية مستقرة رغم أنها نتاج خيالي.

خلاصة مرحلة الإنتاج أن التضليل الرقمي لا يقوم فقط على إنتاج محتوى كاذب بل يعمل على هدم الحدود التقليدية بين الأجناس الإعلامية وتوظيف قوالب إعلامية موثوقة لإخفاء المحتوى المضلل. المبدأ الأساسي الذي يعمل عليه التضليل في هذه المرحلة هو إلباس المعلومة المضللة ثوب قالب يثق به المتلقي تلقائياً لأجل تحييد دفاعاته النقدية قبل إعطائه المعلومة.

مرحلة التوزيع وآليات الانتشار في الفضاء الرقمي

إذا كانت آليات الإنتاج تعنى بصناعة المادة المضللة، فإن مرحلة التوزيع هي التي تمنحها القدرة على الانتشار والفعل في الواقع. في هذه المرحلة يتقاطع الجهد المتعمد للمضلل مع البنية التقنية للمنصات الرقمية في تشابك يجعل من الصعب الفصل بين الأهداف المتعددة للمضللين أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية أو ثقافية، وبين الهندسة التجارية للخوارزميات التي صممت أصلاً لتعظيم أرباح المنصات. وكثيراً ما يستخدم التضليل أدوات تهدف إلى تفتيت التماسك الاجتماعي دون أن تحمل أي رسالة سياسية ظاهرة أو توجيه السلوك الاستهلاكي أو زرع اليأس والإحباط أو إعادة تعريف الهوية الثقافية والدينية لمجتمع ما؛ مما يجعله سلاحاً متعدد الأغراض وليس مجرد أداة دعائية في صراع سياسي.

يمكن تلمس هذه الآليات في مستويات رئيسية منها خوارزميات التفاعل مثل منصات التواصل الاجتماعي التي صممت لتحقيق هدف مركزي ورئيسي يتمثل في تعظيم أرباح المنصات عبر إطالة أمد تفاعل المستخدمين؛ وهو ما يستدعي تفضيل المحتوى المثير للمشاعر القوية كالغضب والخوف على المحتوى الهادئ أو الدقيق. وتشير الأدلة التجريبية إلى أن هذه الآلية تؤدي إلى تفوق

انتشار الأخبار الكاذبة على الصحيحة. إذ أظهرت دراسة رائدة نشرت في مجلة *Science* عام 2018 أن القصص الكاذبة تنتشر بسرعة تفوق سرعة انتشار القصص الحقيقية بنسبة 70 % وتصل إلى جمهور أوسع بنسبة 30 %. لكن المفارقة اللافتة أن البشر كانوا المحرك الأساسي لهذا الفارق وليس البرمجيات الآلية! مما يشير إلى أن الميل إلى تصديق المعلومة المثيرة يعود إلى طبيعة الإدراك البشري أكثر من كونه نتاجاً تقنياً محضاً.

نتقل الآن للحديث عن غرف الصدى والفقاعات التصفية حيث تقوم الخوارزميات بتقديم محتوى للمستخدم يتوافق مع اهتماماته السابقة (مثل سجلات البحث أو نشاط التسوق عبر الإنترنت) ومعتقداته الراسخة وتستبعد تدريجياً ما يخالفها.

تؤدي هذه العملية، وإن بدت محايدة من حيث تصميمها التقني، إلى احتجاز المستخدم داخل فقاعة تصفية خاصة لا يطلع فيها إلا على ما يعزز قناعاته ولا يسمع إلا ما يردد داخل غرفة صدى مغلقة. وتترتب على هذا نتيجة معرفية خطيرة وهي أن المعلومة المضللة حين تصل إلى هذا المستخدم تمر دون فحص نقدي، ليس بسبب ضعف في قدراته التحليلية بل لأنها تبدو مألوفة ومتناغمة مع باقي محتواه اليومي. وهنا يظهر المتلقي انتماءه لما يناسبه دون أي مراجعة منطقية وكأن بهذه البيئات تصبح مجتمعات مغلقة داخل غيتو خوارزمي. لكن تأثير هذه الغرف لا يقتصر على الفرد، بل يمتد ليشمل المجتمع بأسره. إذ يتفاعل أصحاب الغرف المختلفة مع بعضهم على نحو يعمق الاستقطاب ويجعل الحوار بينهم شبه مستحيل. وقد خلصت الدراسات الحديثة إلى أن غرف الصدى ليست مجرد ظاهرة تقنية بل هي نتاج تفاعل بين التصميم الخوارزمي والطبيعة البشرية مما يجعلها تهديداً حقيقياً للتماسك الاجتماعي.

أما الحسابات الآلية والدعاية الشعبية الزائفة، فحملات التضليل المنظمة شبكات من الحسابات الوهمية تديرها برمجيات آلية (الروبوتات)، تؤدي أدواراً متعددة: منها خلق انطباع اصطناعي بالشعبية

يصنع التضليل ويوزع؟" إلى سؤال محوري أكثر إيلاماً هو "لماذا نصدق التضليل؟". الاعتقاد السائد أن الجمهور ضحية للإعلام وأن التضليل هو السبب وأن جمهور المتلقين عاجز عن مقاومة الأمر، لكن الحقيقة المؤلمة هي أن المتلقي شريك في العملية وإن كان غير مدرك لذلك.

لفهم هذه المفارقة يمكن الاستناد إلى نظرية الاستخدامات والإشباعات (Uses & Gratifications) التي طورها كاتز وبلومر وجودفيتش في سبعينيات القرن الماضي؛ وجوهرها أن الجمهور ليس سلبياً بل يختار وسائل الإعلام التي تشبع حاجاته النفسية والاجتماعية وأن آلة التضليل تستغل حاجتنا النفسية العميقة وتقدم لنا إشباعاً زائفة لها.

لم يعد التضليل الرقمي المعاصر يراهن على قوة الرسالة، بقدر مراهنته على فهم احتياجات المتلقي ونقاط ضعفه النفسية. ففي البيئة الرقمية، لم يعد الأفراد يختارون المحتوى الذي يتابعونه بصورة واعية، بل تتولى الخوارزميات تحليل سلوكهم وجمع بياناتهم لتقديم محتوى مضلل يتوافق مع ميولهم ويمنحهم إشباعاً فوراً لاحتياجاتهم النفسية (تجسيد نظرية الاستخدامات والإشباعات). فهي تلبي الحاجة المعرفية عبر تقديم تفسيرات جاهزة تقلل من حالة الغموض، ولا سيما في أوقات الأزمات. كما تستثير المشاعر، مثل الخوف والغضب، لإضعاف التفكير العقلاني وتلبية الحاجات الوجدانية. وتدعم الحاجة إلى الهوية الشخصية من خلال تعزيز القناعات المسبقة وإشعار الأفراد بصواب آرائهم ورفض الآراء المخالفة. كذلك تستثمر الحاجة إلى الانتماء الاجتماعي، إذ يصبح تصديق الشائعات وإعادة نشرها وسيلة للحصول على القبول داخل الجماعات الرقمية وتجنب العزلة. وهي أخيراً، تلبي حاجة الهروب من الواقع (Escapism)، حيث يستهلك بعض الأفراد المحتوى المضلل بوصفه شكلاً من أشكال التسلية أو التنفيس عن ضغوط الحياة، فيتسلل الوهم إلى وعيهم بأقل قدر من المقاومة المعرفية.

(Astroturfing) وتضخيم محتوى المؤثرين المشاركين في التضليل لأسباب قد تكون عقائدية أو لفائدة مالية والرد على النقاد والصحفيين بغرض إغراق الفضاء النقاشي بالتشويش وإثارة الشكوك، مما يضعف قدرة الجمهور على تمييز المصادر الموثوقة من غيرها.

أخيراً، تطبيقات المراسلة المشفرة مثل واتساب وتيليجرام وسيجنال. وهي فضاء مظلم للتضليل تخلو من آليات الرقابة الخوارزمية وتفتقر إلى أدوات الكشف عن المحتوى المزور أو المضلل، كما يصعب تتبع مسار المعلومات أو أرشفتها. هذه الخصائص تجعلها بيئة مثالية لانتقال التضليل من شخص إلى آخر بثقة عالية خصوصاً حين يأتي من مصادر قريبة ومعروفة. وقد شهد العالم في السنوات الأخيرة أمثلة مأساوية على تداعيات هذه الآلية كان من أبرزها ما حدث في سريلانكا عام 2018 حين أسهمت شائعة مفبركة انتشرت عبر مجموعات واتساب في إشعال فتنة طائفية راح ضحيتها العشرات دون أن تتمكن السلطات من تتبع مصدرها أو إيقاف انتشارها.

الخلاصة أن المبدأ الأساسي الذي يعمل عليه التضليل في غرف الصدى هو استغلال السمات البنيوية للمنصات سواء في تصميمها الخوارزمي أو في بنيتها التواصلية لصالح تمرير المعلومات المضللة بحيث تصبح المنصة ذاتها -بتصميمها المحايد ظاهرياً- أداة فاعلة في نشر التضليل وتعميقه. وقد أظهرت الأدلة أن هذه الآليات لا تؤدي إلى انتشار المعلومات المضللة فحسب، بل تسهم أيضاً في تعزيز الاستقطاب وتفتيت الوعي المجتمعي مما يجعل التضليل سلاحاً بنيوياً لا يكتفي بتضليل جمهور المتلقين بل يعيد تشكيل الواقع الاجتماعي ذاته عبر تفتيت التماسك المجتمعي وإعادة تعريف هويات الجماعات المستهدفة.

مرحلة الاستقبال: لماذا نصدق التضليل؟

بعد أن يتم إنتاج المادة المضللة وتوزيعها عبر المنصات، تصل إلى المرحلة الأكثر تعقيداً وهي مرحلة الاستقبال. وهنا ينتقل السؤال من "كيف

الحقيقة المؤلمة يقدم التضليل مخرجاً مناسباً بالإيحاء بفكرة أنك لست المخطئ بل هم "الآخرون" الذين تأمروا عليك، أو بفكرة أنت لم تفشل بسبب تقصيرك بل بسبب مؤامرة أنت ضحيتها.

5- الحاجة إلى الإثارة والتشويق؛ الأخبار الحقيقية غالباً ما تكون جافة أو معقدة أو مكررة والتحليلات العلمية تحتاج إلى تركيز، وهنا يقدم التضليل سرداً درامياً مشوقاً أشبه برواية بوليسية أو فيلم أكشن فيه أبطال وأشرار ومؤامرات وخيانات ولحظات كشف مثيرة.

هذا النوع من السرد ممتع وإدماني، والاختلاف شاسع بين من يختار قراءة تقرير اقتصادي معقد ومن يختار مشاهدة فيديو يكشف المؤامرة العالمية.

تفادي الملل المعرفي

هنا نصل لنتيجة أن الإنسان الذي يصدق التضليل لا يشعر بأنه مخدوع بل يشعر بأنه متمكن وواع؛ وهذا ما يفسر فشل حملات فضح الكذب والتضليل لأنها تهجم معتقدات تشبع حاجات وجودية، فيدافع عنها الناس بشراسة رغم كذبها.

بعد تفكيك الأدوات التي يستخدمها التضليل الإعلامي في مراحل إنتاج المادة المضللة وتوزيعها عبر المنصات واستقبالها في وعي المتلقين، يتضح أن التضليل ليس مجرد كذب يقع علينا من الخارج بل هو نظام متكامل من الآليات التي تصطاد نقاط ضعفنا المعرفية والنفسية من خوارزميات تفضل الغضب على الصدق، وغرف صدى تحبسنا في أوهامنا، وروبوتات تخلق شعوراً زائفاً بالشعبية، وفضاءات مظلمة يزدهر فيها التضليل دون رقيب، وفي النهاية حاجتنا النفسية إلى الأمان والانتماء وتقدير الذات التي تحولنا إلى شركاء في خداع أنفسنا

والخلاصة الأخلاقية أن مقاومة التضليل لا تبدأ بفضح ما يفعله الآخرون بل تبدأ بفهم ما نفعله نحن بأنفسنا وبالاعتراف بأننا لسنا ضحايا أبرياء فقط، بل نحن شركاء في العملية وإن كنا غير مدركين لذلك.



تشير الأدبيات إلى خمس حاجات نفسية أساسية يستغلها التضليل:

1- الحاجة إلى الأمان واليقين في عالم أخباره معقدة وفي بعض الأحيان مربكة. والتضليل يقدم إجابات بسيطة واضحة وشاملة مما يريح النفس ويقلل قلقها الوجودي. فالخبر الحقيقي الذي يقول الأمور معقدة وليس هناك حل سحري لا يريحها؛ لذلك يختار كثير من الناس التضليل المريح على الحقيقة المتعبة.

2- الحاجة لتقدير الذات والتميز وشعور المعرفة أكثر من الآخرين، وأن النخبة القليلة الواعية تعرف الحقيقة والآخرون غافلون لا يدركون الحقيقة الخفية (التميز والمشاعر النمائية الناتجة).

3- الحاجة إلى الانتماء والهوية الجماعية بأن نكون جزءاً من "نحن" ضد "هم"، لأن الإنسان بطبعه اجتماعي ويحتاج للانتماء إلى جماعة وهوية تميزه. والإيمان بالتضليل يمنح المرء عضوية فورية في جماعة لا ينتمي إليها "الآخرون". (حين ينتشر خبر فيه تضليل طائفي، فالذين يصدقونه لا يبحثون عن الحقيقة بل عن لحظة أخوة مع أبناء طائفتهم في مواجهة الآخر).

4- الحاجة إلى تبرير الذات أخلاقياً؛ كل إنسان يرتكب أخطاء ويتخذ قرارات خاطئة، ولمواجهة هذه

شاه عبد الحنان

نموذجٌ للقيادة الأخلاقية والعمق الفكري والإصلاح الإسلامي

النشأة المبكرة

وُلد شاه عبد الحنان في مدينة ميمينسينغ Mymensingh عام 1939، تنقل في طفولته بين مناطق مختلفة من بنغلاديش بسبب طبيعة عمل والده في الحكومة، الذي كان يقتضي الانتقال المستمر. أثبت تفوقه الأكاديمي بحصوله عام 1961 على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة دكا بتقدير امتياز. وأسهمت هذه المرحلة التكوينية في إرساء أساس مزدوج جمع بين النظرية السياسية الحديثة والأخلاق الإسلامية، وهو ما ترك أثراً عميقاً في رؤيته المهنية والفكرية لاحقاً.

التحق عبد الحنان بالخدمة المدنية الباكستانية عام 1963، وواصل مسيرته الإدارية في مؤسسات الدولة بعد استقلال بنغلاديش، فشغل عدداً من المناصب الرفيعة، من بينها منصب وكيل عدة وزارات ونائب محافظ بنك بنغلاديش ورئيس المجلس الوطني للإيرادات. وكان له دور محوري في إدخال نظام ضريبة القيمة المضافة. كما تولى قيادة مشروع إصلاح القطاع المالي. عُرف الرجل بنزاهته واستقامته، فقد رفض الاستفادة من امتيازات خاصة مثل الأراضي الحكومية المخصصة للمسؤولين وبدلات السفر، وعكس في سلوكه مبادئ أخلاقية تتجاوز ما تفرضه المسؤولية المهنية.

وتبرز الشهادات الواردة بحقه في المصادر العامة، من مقالات صحفية ودراسات أكاديمية وتأملات فكرية، مدى التزامه



■ في وقت كانت فيه الإدارة الحكومية في بنغلاديش تتعرض لانتقادات متكررة بسبب ما تعانيه من قصور وبيروقراطية، برز شاه عبد الحنان (1939-2021) بوصفه نموذجاً استثنائياً للنزاهة والخدمة العامة الملزمة بالمبادئ. فقد جمع بين الكفاءة في إدارة الشأن العام والالتزام العميق بالقيم الأخلاقية والإسلامية، تاركاً بصمته في مجالات السياسات العامة وإصلاح التعليم وتطوير التمويل الإسلامي والتوجيه الفكري. تسعى هذه الدراسة إلى تتبع تأثيره في البلاد بالنظر إلى فلسفته للحداثة الإسلامية وللمسؤولية المدنية ولنشاطه الفكري، بالاعتماد على الشهادات والمصادر العامة الموثقة.



أنيس الرحمن إرشاد
باحث وكاتب. بنغلاديش

🌟 شاه عبد الحنان نموذج فريد لتكامل الإيمان والعقل

الراسخ بالأخلاق العامة والمسؤولية المدنية، وهو التزام ظل سمة ملازمة لمسيرته المهنية والفكرية على السواء.

رؤيته وإسهاماته

كان شاه عبد الحنان من الشخصيات المحورية في إطلاق وتطوير قطاع التمويل الإسلامي في بنغلاديش. فقد شارك في تأسيس مكتب أبحاث الاقتصاد الإسلامي، وأسهم في إنشاء بنك بنغلاديش الإسلامي المحدود، فكان خير مدافع عن تفعيل أدوات الاقتصاد الإسلامي، مثل الزكاة والوقف والآليات المالية الخالية من الفائدة الربوية. كما سعى في مؤلفاته، ومنها كتاب الاقتصاد الإسلامي (Islami Orthoni) وكتاب الإسلام وقضايا النوع الاجتماعي (Islam and Gender) إلى الجمع بين التراث الفقهي الإسلامي والواقع الاجتماعي والاقتصادي المعاصر، في محاولة لتقديم معالجات إسلامية للقضايا الحديثة.

وكان يؤمن بأن بناء المؤسسات هو أنجع وسيلة لتحقيق الإصلاح طويل الأمد. ومن هذا المنطلق، أسهم في تأسيس عدد من الجامعات، من بينها جامعة الشمال والجنوب North South University وجامعة Manarat International University. كما عمل، من خلال معهد بنغلاديش للفكر الإسلامي (BIIT) ومؤسسة ابن سينا الخيرية، على وصل المعرفة الإسلامية بمجالات الرعاية الصحية والبحث العلمي، ساعياً إلى إيجاد فضاءات مؤسسية تجمع بين القيم الإسلامية ومتطلبات التنمية الحديثة

عُرف عبد الحنان كذلك بغزارة إنتاجه الفكري ونشاطه الواسع في المحاضرات العامة التي تناول فيها موضوعات متنوعة شملت الفقه الإسلامي وأخلاقيات النوع الاجتماعي ومسؤولية وسائل الإعلام والعمل المدني والمجتمعي. وكان يوجّه الشباب باستمرار إلى «القراءة والكتابة ونشر المعرفة»، داعياً إلى الانخراط الدائم في طلب العلم وخدمة المجتمع، ومؤكداً أن النهضة الفكرية لا تتحقق إلا من خلال التفاعل المستمر مع المعرفة والقضايا العامة.

وتكشف محاضراته ومؤلفاته، التي حُفظ كثير منها في الأرشيفات الرقمية والمستودعات الأكاديمية، عن حضور ثابت لموضوعات الإصلاح والتجديد والقيادة القائمة على القيم، وهي الموضوعات التي شكّلت الخيط الناظم لمجمل مشروعه الفكري والعملية.

أخلاق مبدئية وإرث راسخ

جوهر حياة شاه عبد الحنان ومسيرته كانت الأخلاق الثابتة. عاش حياة بسيطة ومتواضعة في شقة عائلية، وكان يتنقّل بعربات الركشة الشعبية، ولم يسعَ قط إلى استغلال المناصب العامة لتحقيق مكاسب شخصية. تحوّل هذا التواضع المبدئي إلى بوصلة أخلاقية لمن عرفوه أو عملوا معه، لأنه كان يجسّد في سلوكه اليومي المبادئ التي كان يدعو إليها نظرياً. وتؤكد الروايات والشهادات المتداولة في العديد من المصادر المفتوحة ما اتصف به من تواضع حقيقي وشعور راسخ بالمسؤولية والمساءلة أمام المجتمع.

لا يزال إرث شاه عبد الحنان حياً في مؤلفاته والمؤسسات العلمية والفكرية، والأهم من ذلك في تلامذته الذين يشغل كثير منهم اليوم مواقع مؤثرة في الأوساط الأكاديمية والإدارية والحركات المدنية. ولا تزال إسهاماته الفكرية مرجعاً أساسياً في الاقتصاد الإسلامي والأخلاق الإسلامية، وما زالت تؤثر في النقاشات المعاصرة المتعلقة بالإصلاح والتنمية والقيم الإسلامية في بنغلاديش وخارجها.

أهم الجوانب الشخصية

عند استعراض عشرات المقالات التبينية والشهادات المنشورة في الصحف والمنصات الأكاديمية والمدونات العامة حول السيد شاه عبد الحنان، تبرز مجموعة من الموضوعات الأساسية التي تتكرر بصورة لافتة في الحديث عنه:

- النزاهة فوق كل اعتبار: ظل رفضه لاستغلال الوظيفة العامة أو تحقيق الإثراء الشخصي من خلالها نموذجاً يُحتذى به في أوساط العاملين في الخدمة المدنية، ودليلاً على إمكانية الجمع بين السلطة الإدارية والاستقامة الأخلاقية.

- التعليم الشامل والمتوازن: دعا عبد الحنان إلى نموذج تعليمي يجمع بين التربية الروحية والتكوين الفكري والمهارات العملية، ورأى أن التنمية الحقيقية للإنسان لا تتحقق بالمعرفة التقنية وحدها، بل تحتاج أيضاً إلى ترسيخ القيم والأخلاق.

- إصلاح النظام المالي الإسلامي: كان الرجل من رواد السعي إلى تطوير بدائل اقتصادية ومالية مستندة إلى المبادئ الإسلامية، وقادرة في الوقت نفسه على الاستجابة لمتطلبات المجتمعات الحديثة وتحدياتها الاقتصادية.

- الإرشاد وتنمية الإنسان: لم يقتصر نشاطه على المؤلفات والمؤسسات، بل امتد إلى رعاية أجيال من الطلاب والباحثين والناشطين من خلال التوجيه الشخصي والقوة العملية، مما جعل أثره الإنساني يتجاوز حدود إنجازاته المؤسسية.

- الحضور في المجال العام والدعوة الفكرية: انخرط عبد الحنان بجرأة في مناقشة قضايا عالمية معاصرة، من بينها الإسلاموفوبيا والعلمانية والعدالة الاجتماعية، وسعى إلى تقديم رؤية إسلامية واعية لهذه التحديات ضمن فضاء الحوار الفكري والمجتمعي.

تُظهر هذه الشهادات المتضاربة أن شاه عبد الحنان

شاه عبد الحنان من الشخصيات المحورية في إطلاق وتطوير قطاع التمويل الإسلامي في بنغلاديش

لم يكن مجرد شخصية تحظى بالإعجاب والتقدير، بل نموذجاً عملياً للأخلاق التطبيقية والإصلاح المسؤول في العالم الإسلامي؛ نموذجاً يجمع بين الفكر والعمل، وبين الالتزام القيمي والمساهمة الفاعلة في الشأن العام.

الخاتمة

كان شاه عبد الحنان موظفاً مدنياً بارزاً في بنغلاديش، ومفكراً إسلامياً، ورجل اقتصاد، ومربياً، ومصلحاً اجتماعياً. وقد جسّد نموذجاً نادراً جمع بين النزاهة المهنية والقيادة الفكرية القائمة على المبادئ. وقد سعينا في هذه الدراسة إلى تقديم عرض لسيرة حياته المتعددة الأبعاد، من خلال استعراض إسهاماته في مجالات الإدارة العامة والاقتصاد الإسلامي والتعليم وبناء المؤسسات وفي الخطاب الأخلاقي. وأظهرنا، استناداً إلى الشهادات المنشورة والمواد التبينية، الجانب الإصلاحي لدى عبد الحنان ورؤيته المستقبلية.

شاه عبد الحنان نموذج فريد لتكامل الإيمان والعقل والمشاركة المدنية. وقد ترك بصمته بصفته مرشداً أخلاقياً وقائداً فكرياً إصلاحياً حتى اليوم. ولنا في حياته نموذجاً متكاملًا ونادراً للقيادة، المستندة إلى القيم الإسلامية الراسخة، مع إدراك عميق - في الوقت نفسه - لتحديات العصر الحديث ومتطلباته. إرث عبد الحنان لا يقتصر على ما أنشأه من مؤسسات أو ما تركه من مؤلفات، بل يمتد إلى الرؤية الأخلاقية والفكرية التي جسدها، والتي ما تزال قادرة على إلهام الأجيال الجديدة من القادة والمفكرين والمصلحين في العالم الإسلامي.



Email: info@al-ummah.org
Website: www.al-ummah.org